دراسات في
الغزو الفكري



د. مجدي عبد الغفار حبيب

دراسات في
الغزو الفكري

إعـــــداد

د. مجدي عبد الغفار حبيب





الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ١٣٥٤٩/ ٢٠٠٣

دار تطوير للنشر والتوزيع

محمول: ٠١٠٢٧٧٦٧٧٥

Email: tatweer2005@hotmail.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إلى من يهمه الأمر	٤
المقدمة	٥
الفصل الأول: الغزو الفكري التعريف والأهداف	٩
المبحث الأول: المدلول اللغوي والمفهوم الاصطلاحي	١١
المبحث الثاني: أخطار الغزو الفكري	٢٣
المبحث الثالث: أهداف الغزو الفكري	٢٩
الفصل الثاني: أسباب الغزو الفكري وطرقه	٣٥
المبحث الأول: أسباب الغزو الفكري	٣٧
المطلب الأول: الاستعمار	٦٠
المطلب الثاني: العلمانية	٧٥
المطلب الثالث: القومية	١١٦
المطلب الرابع: الماسونية	١٥٤
المطلب الخامس: الصهيونية	٢٠١

***

إلى من يهمه الأمر

قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾

[الأنفال:٣٦]



الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣].

والصلاة والسلام علي المبعوث بالهدى ودين الحق، الذي انتهت إليه أصول الرسالات السماوية جميعا، فهو ليس بدعا من الرسل.

أما بعد:

فإن التيارات الفكرية، والحركات والدعوات المعاصرة، تشكل غزوا فكريا، وتيارا جارفا. يزحف علي المجتمعات الإنسانية في مكر وخبث ودهاء. ليشغل الإنسانية عن عجلة الحياة، ويصرفها بما هو بعيد عنها.

ولكم عانت المجتمعات الإسلامية من مثل هذه التيارات الهدامة حيث صرفت الناس عن المواكبة العلمية، والفهم الصحيح لمبادئ الإسلام وحقائقه.

وجدير بالذكر أن هذا الغزو الفكري يعمل بكل ما يملك من إمكانات مادية ومعنوية علي غزو الأمة الإسلامية، غزوا يفتتها، ويضعف من تقدمها، ويقيد حركتها، ويصرفها عن الواقع المحيط بها.

ولكم عانت الإنسانية، من أولئك الذين يصنعون (الغزو الفكري)

ويصدرونه في موجات تقتحم الديار والبيوت، حتى تساقطت أمم وشعوب في هاوية الفساد، علي حين تراقص السذج والجهال علي نغم إيقاعها، وفتنوا بمظاهر هذه التيارات الخداعة، ووجهاتها البراقة.

ومما لا يخفى علي عاقل: أن الأمم، تسعد، وتشقى، وتقوى، وتضعف، وتصح، وتمرض، وهي بحاجة إلي من يأخذ بيدها ويعالجها إذا هوت وسقطت، وانتابها من الجهل والظلام ما أفقدها مناعتها، وأضعف قواها، ولا يوجد منهج يتناول بالعناية والرعاية، النفس البشرية، كالمنهج الإسلامي، لأنه يغرس في النفس إيمانا يخط مسارها، ويضع علاجها، ويحول بينها وبين دواعي الفساد، بما يوفر من قيم إيجابية فعالة، تعالج ما قد تصاب به النفس الإنسانية من علل وانحرافات.

وإن الباحث المدقق لعلي يقين بأن ما تعانيه الأمة الإسلامية من هزائم فكرية، وسياسية، واقتصادية، واجتماعية، هو نتيجة حتمية لانهزام الشخصية الإسلامية.

ومن ثم لا يخفى علي كل ذي لب: أن أخطر ما تتعرض له المجتمعات الإسلامية هو هدم الشخصية الإسلامية هدما عقديا، وسلوكيا، وثقافيا.

إن الأمة الإسلامية كانت ومازالت هدفا ثمينا لهذا الغزو الفكري، الذي يعمل علي إذابة المجتمعات، وانسلاخها عن عقائدها، وتراثها،

وحضارتها، حتى تصبح مسخا شائها تابعا لغيره، مقلدا له تقليدا أعمى، يؤمر فيطيع..

ولهذا جاء هذا الجهد المتواضع ليضيف مع ما سبقه من أبحاث وكتب إطلاله جديدة علي أسباب الغزو الفكري وأهدافه وطرقه، عسى أن تتنبه الأمة الإسلامية للأخطار الفكرية، والتيارات الهدامة التي تحدق بها، وأن تتبصر المواقع، وتتعرف علي طريق الصواب.

والله ولي التوفيق

المؤلف
د /مجدي عبد الغفار حبيب
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين جامعة الأزهر

الفصل الأول

الغزو الفكري
حقيقته وأهدافه

المبحث الأول مفهوم الغزو الفكري

الغزو الفكري بين المدلول اللغوي والمفهوم الاصطلاحي:

بداية أقف عند مصطلح (الغزو الفكري) حيث قد تردد في العصر الحاضر كثيرا علي ألسنة الكتاب، والباحثين، والمتحدثين، وإن وقفة استقرائية تكشف في وضوح: كون هذا المصطلح مستحدثا، لم يسمع به قبل القرن الرابع عشر الهجري. (العشرين الميلادي).ولكن ليس معني عدم وجوده كمصطلح، أو عدم استخدامه، قبل القرن الرابع عشر الهجري أنه ليس موجودا لأن معناه ومفهومه، وموضوعه بالاستقراء لأحوال الأمم والشعوب، نجد أنه كان موجودا في القديم، كما هو موجود في الحديث..

المدلول اللغوي لكلمة الغزو:

قال في لسان العرب:(مادة غزا): غزا الشيء غزوا، أراده وطلبه، والغزوة - بالكسر - ما غزي وطلب، ومغزى الكلام مقصده، وعرفت ما يغزى من هذا الكلام: أي ما يراد منه، والغزو: القصد. فهي في اللغة العربية تعطي معني: القصد، والطلب، والإرادة، ومعرفة ما يراد والسير

إلي قتال الأعداء، في ديارهم، وانتهابهم، وقهرهم والتغلب عليهم [١].

أما في الاصطلاح: فإن مصطلح الغزو الفكري بهذا التركيب الإضافي -: مصطلح معاصر يعني البحث عن كيفية تأثر المسلمين بأفكار وخطط أعدائهم التي تضاد الشريعة الإسلامية، وتسعي للقضاء عليها، ولتحلل المسلمين منها ذاتيا دون استخدام القوة المباشرة.

و يقصد بالغزو الفكري: (إغارة الأعداء علي أمة من الأمم، بأسلحة معينة، وأساليب مختلفة، لتدمير قواها الداخلية،وعزائمها ومقوماتها، وانتهاب كل ما تملك [٢]

الفرق بين الغزو الفكري والغزو العسكري:

الفرق بين الغزو الفكري والغزو العسكري: أن الغزو العسكري يأتي للقهر وتحقيق أهداف استعمارية، دون رغبة الشعوب المستعمرة، أما الغزو الفكري فهو لتصفية العقول، والأفهام، لتكون تابعة للغازي[٣]

إن أسلوب الغزو الفكري يفوق بعشرات المراحل أسلوب الغزو

---

(١) انظر: لسان العرب مادة (غزا) وانظر منجد الطلاب للبستاني ص ٥١٩ ط بيروت دار المشرق ومختار الصحاح للرازي ص ٤٧٤ ط بيروت مكتبة الهلال. وانظر معجم لغة الفقهاء.

(٢) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية د/ توفيق الواعي ص ٦٨٠ ط دار الوفاء. المنصورة س ١٤٠٨ هـ. القاهرة.

(٣) المرجع السابق ص٦٨٠

العسكري وذلك لأن من أوصافه وسماته ما يأتي: [١]

١- الخداع:

فالعدو من خلال هذا الغزو لا يقف أمامك عيانا بيانا؛ بل هو متخف يأتيك في صورة مقال جذاب، أو كتاب بغلاف براق، أو برنامج إذاعي أو تلفزيوني، أو فيلم أو مسلسل، بل إنه قد يأتيك من أبناء جلدتك ووطنك بل ودينك أحيانا.

٢- الخطورة:

الغزو الفكري أخطر بكثير من الغزو العسكري لأنه عميق التأثير في الشعوب المغزوة، إذ يمتد تأثيره عشرات بل مئات السنين أحيانا، والشعب الذي يحارب بالغزو الفكري يتصرف بمحض اقتناعه هو كما يريد الغازي بلا تعب ولا مجهود، فهو بمثابة القنبلة التلفزيونية التي يطلقها الجندي من مكانه ويوجهها حيث شاء فتصيب الهدف وهو جالس في مكانه.

٣- البساطة:

والغزو الفكري سهل وبسيط وأقل تكلفة من الغزو العسكري الذي يكلف كثيرا من الدماء والطاقات[٢].

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام د- سعد الدين صالح ص٤٢-٤٣ ط دار الأرقم الزقازيق. س ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م

(٢) انظر: الإسلام والتيارات المعاصرة د/ عبد المعطي بيومي، د/ محمد الشاعر ص ١٣٥

العلاقة بين المدلول اللغوي والمفهوم الاصطلاحي:

إن هناك صلة وثيقة بين المدلول اللغوي والمفهوم الاصطلاحي، حيث إن كلمة الغزو استعملت في معناها، وهي الإغارة علي أمة من الأمم للاعتداء عليها، وانتهابها، ولكن عن طريق الفكر وتدمير القوي المفكرة فيها، وهذا ما لفتت إليه كلمة الفكر، التي تطابق معناها في العربية، معناها في المصطلح [١].

ويمكن أن يقال أيضا إن المصطلح استعار كلمة الغزو للفكر، لما بينها وبين الغزو في الحرب من علاقة، في نهب الشعوب وتدميرها، والسيطرة عليها.

أو أن مصطلح (الغزو) مجاز علي التشبيه بالحرب الفعلية، في التدمير، والتخريب، والانتهاب، والسيطرة علي الشعوب.

ولهذا شاع استعمال هذا المصطلح، وأضرابه من المصطلحات، التي تدل علي هذا المعني، وتسير في فلكه [٢].

الغزو الفكري وهم أم حقيقة: -

إن بعض الكتاب والباحثين ينكرون وجود (الغزو الفكري) معتبرين الحديث عنه مجرد وهم من الأوهام.

---

(١) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص٦٨١.

(٢) المرجع السابق ص ٦٨١ بتصرف.

وهؤلاء العلماء إنما ينطلقون من تصورهم لعالم اليوم باعتباره رغم الحدود الدولية السياسية، والحواجز الجغرافية، وبسبب من التقدم الهائل في (ثورة الاتصال) وطنا واحدا لحضارة واحدة، يسمونها (حضارة العصر) أو (الحضارة العالمية) أو (الحضارة الإنسانية) ويتصورون الأمم، والشعوب، والقوميات، مجرد درجات ومستويات في البناء الواحد، لهذه الحضارة الواحدة.

ومن ثم فليس في هذا التصور حدود- لها حرمة الحدود- تميز أوطانا متعددة، لحضارة متميزة.. ولهذا فإن عبور الفكر-كل الفكر- للحدود ليس فيه عندهم شبهة (غزو) ولا أثر (عدوان) [١].

وهذا التصور يروج له المروجون بطرق شتي، وأساليب متعددة، مرة بدعوى (فكر عالمي) ومرة بدعوى أن الحضارة الحديثة (حضارة عالمية) أو أن (الثقافة ثقافة عالمية). وهكذا إلي أخر الدعاوى المزعومة.

فحركة البابية والبهائية التي نشأت سنة ١٦٢٠ هـ- سنة ١٨٤٤م[٢]، تحت رعاية الاستعمار الروسي، واليهودية الصهيونية،

---

(١) المرجع السابق ص ٦٨١ بتصرف

(٢) أسسها الميرزا علي محمد رضا الشيرازي (١٢٣٥-١٢٦٦هـ) (١٨١٩-١٨٥٠م) والميرزا يحي علي أخو البهاء وكان يلقب بصبح أزل. أنظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة جـ١ صـ٤١٢-٤١٨. الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ. إشراف وتخطيط ومراجعة د / مانع بن حماد الجهني الطبعة الثالثة طـ دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

بهدف إفساد العقيدة الإسلامية، وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية، تزعم أنها جاءت بدين عالمي جمع البوذية، والبرهمية، والزرادشتية، والمانوية، والمزدكية، والفرق الباطنية، واليهودية، والنصرانية، والدهرية وهذه الدعوة تجد رواجا [١].

وهناك من العلماء، والمفكرين، من ينكرون أن يكون عالم اليوم، وطنا حضاريا واحدا؛ لحضارة عالمية واحدة. وهؤلاء العلماء يدعون إلي ضرورة احترام الحدود الحضارية.. لأن العالم في تصورهم: هو أقرب ما يكون إلي (منتدى عالمي لحضارات متميزة) تشترك أممها في عضوية هذا المنتدى، ومن ثم فإن بينها ما هو (مشترك حضاري عام).. وأيضا فإن هذه الأمم تتمايز حضاريا.. الأمر الذي ينفي الوحدة الحضارية، ويستدعي الحفاظ علي الهويات الحضارية المتميزة..لا لمجرد، الحفاظ عليها - رغم أهميتها - إنما لأسباب وطنية، وقومية، وعقدية، تلعب دورها في إنهاض أمم كثيرة، من كبوتها وتراجعها، لما لهذه الخصوصيات، من قدرات علي شحن شعوب هذه الأمم، بالكبرياء المشروع، والطاقات المحركة، في معركة الإبداع.. ولما للتعددية من دور في إثراء مصادر العطاء العالمي [٢].

---

(١) انظر : المرجع السابق ج ١ ص ٤١٢ –٤١٥.

(٢) انظر الغزو الفكري وهم أم حقيقة د/ محمد عمارة ص ٧ طـ الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف. ١٩٨٨م ٠وانظر في الغزو الفكري د/ أحمد السايح صـ ٣٥ –٤١ كتاب الأمة العدد ٣٨ شعبان ١٤١٤هـ

وهؤلاء الباحثون والعلماء الذين ينكرون عالم اليوم وطنا حضاريا واحدا، لحضارة عالمية واحدة، يذهبون إلي أن التعددية الحضارية، تكشف وتعري، روح الهيمنة، والعدوان، والاستعلاء، التي تخفيها الحضارة المتغلبة، علي عالمنا المعاصر. وهي الحضارة الغربية، تحت ستار: (وحدانيتها.. و عالميتها.. وإنسانيتها).

كما أن هذه التعددية تقوم بدور فعال، في إذكاء روح المقاومة، عند الأمم المستضعفة حضاريا، ضد السمات والقسمات التي مثلت وتمثل: (مأزق الحضارة الغربية) الذي يمسك اليوم بخناق إنسانيتها، وذلك حتى لا تعم مأساته كل بني الإنسان [١].

هؤلاء العلماء يعترفون بوجود: (الغزو الفكري) ويحذرون من آثاره ومخاطره التي تعددت، وتكاد تحيط بالمجتمعات الإسلامية..

وهؤلاء العلماء: يرفضون دعوى (الوطن الحضاري الواحد لعالمنا المعاصر) ودعوى (الحضارة العالمية الواحدة) لهذا الوطن الواحد، ويقدمون بديلا لها: دعوى أن عالمنا هو أقرب ما يكون إلي (منتدى عالمي لحضارات متميزة) وأن الأمم المستضعفة حضاريا، لابد لها من النضال الحضاري، ضد نزعة التفرد، والهيمنة، التي تمارسها الحضارة الغربية المتغلبة - بالاستعمار القديم والجديد - علي غيرها من الحضارات.. فالتعددية لا الواحدية، هي الحقيقة الممثلة للواقع

---

(١) المرجع السابق ص ٧

الحضاري، في الواقع الذي نعيش عليه. ومن ثم فإن هناك حالات تعدي (الحدود الحضارية). تمثل (غزوا فكريا) لاشك فيه [١].

وباستقراء واقع حياة الأمم والشعوب يتضح صواب هذا التصور، فالذين يعايشون حياة الشعوب، والأمم ذات الحضارات العريقة، والتاريخ القديم، والتراث الثري، والذين يغوصون في تراث هذه الشعوب والأمم وفي فلسفتها، وتقاليدها، ومذاهبها، وأعرافها.. يدركون أن عالمنا به- حقا- أمم متعددة، تتميز كل أمة منها بشخصيتها الحضارية والقومية المتميزة وإننا إذا نظرنا في مذاهب هذه الأمم وأعرافها، وفي معايير الحلال والحرام، والمشروع والممنوع لدى أبنائها، وفي موازين الأسواق والحاسة الجمالية، وفي تصوراتها لمكان الإنسان من الكون، وتصوراتها لمصيره بعد الموت، وتصوراتها الفلسفية لهذا الكون، وما وراء المادة والطبيعة.. إذا نحن نظرنا إلي مذاهب هذه الأمم، في هذه القضايا الأمهات، أدركنا السمات التي تمايز بينها - جنبا إلي جنب - مع سمات تشترك فيها فتجمع بينها [٢].

ولا يخفى أن الباحث الذي يسير أغوار المواريث الفكرية لهذه الأمم، ويتتبع خيوط هذا التمايز الحضاري، إلي حيث تضرب بجذورها في أعمق أعماق التاريخ.. حيث كان البابليون، والآشوريون، والفينقيون، والمصريون، وغيرهم ممن أسهموا في الفكر الإنساني، كان

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٨.

(٢) المرجع السابق ص ٨-٩.

لهم تمايز حضاري [١].

وبنظرة فاحصة متأنية إلي أمم مثل الهند، والصين، واليابان، ستصل بالباحث إلي معرفة حقيقة هذا التمايز الذي يظهر جليا في الشخصيات القومية، والمواريث الحضارية، وطرائق العيش، والفلسفة، ونظرتهم إلي الكون وتصورهم له، هذا التمايز ملحوظ لدى شعوب وأمم هذه الحضارات.. وكذلك الحال إذا نحن تأملنا الحضارة الغربية، منذ اليونان، وحتى نهضتها الحديثة.. والحضارة الإسلامية منذ تبلورها كثمرة لاندماج هذه المواريث القديمة للشعوب التي دخلت الإسلام - بعد الإحياء لهذه المواريث - كثمرة لاندماج هذه المواريث في الفكر الإسلامي، الذي استصفاها وطورها وفقا لمعاييره [٢]. حيث لم يكن المسلمون مجرد نقلة، ولكن إضافاتهم للأصول التي نقلوا عنها، تشهد بأنهم زادوا، وابتكروا، لأنهم كانوا ينظرون بعين إلي الثقافة اليونانية، وبالعين الأخرى إلي التعاليم الإسلامية [٣].

علي أن الذي ينبغي ملاحظته والتأمل فيه: (أن التصور الذي يرى العالم وطنا واحدا لا غزو لفكر فيه، تصور يقوم علي انتصار الحضارة

---

(١) أضواء علي الحضارة الإسلامية د/ أحمد السايح ص ٧٨ ط دار اللواء بالرياض س ١٤٠١ هـ سنة ١٩٨١ م .

(٢) انظر الغزو الفكري وهم أم حقيقة ص٩ مرجع سابق.

(٣) انظر الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية د / توفيق الطويل ص ١٥١ ط مكتبة التراث الإسلامي مصر سنة ١٩٩٠ م

الغربية المتغلبة، التي تعمل علي مسخ الحضارات العريقة.

إذن لابد من التصور، الذي يقوم علي أن الفكر حين يتأمل فيه، علي المستوى الإنساني، يلاحظ في هذا الفكر: (ما هو مشترك إنساني عام) لا يختص بحضارة بذاتها، وفي هذا الفكر أيضا ما يتميز بالخصوصية والاختصاص.

والتميز في الفكر، بين ما هو مشترك إنساني، وبين ما هو خصوصية حضارية، إنما تحكمه وتحدده معايير موضوعية.

فكل العلوم التي موضوعها الطبيعة وظواهرها، والمادة وخصائصها، هي من قبيل الفكر، الذي هو مشترك إنساني عام، وذلك لأن مناهجها تتميز بالحياد العلمي، ولأن التجربة الملموسة بالحواس المادية، هي السبيل لاكتشاف حقائق هذه العلوم، تلك الحقائق التي بنت الدليل، والتي لا تختلف باختلاف مذاهب، وعقائد، وأجناس، وفلسفات المكتشفين.

ومن ثم فهي لا تتغاير بتغاير القوميات، والحضارات، بل هي واحدة علي المستوي الإنساني، كما أن موضوعاتها المادة وظواهرها واحدة هي الأخرى، لا تختلف ولا تتغاير باختلاف وتغاير الحضارات. فعلوم مثل الرياضيات بفروعها، ومثل الكيمياء، والطبيعة، والطب، والجيولوجيا، لم ولن تختلف مناهجها وحقائقها، وقوانينها باختلاف الحضارات.. قد تتمايز وظائف استخدام قوانينها ونظرياتها

ومكتشفاتها. لكن حقائق علومها، أي (فكرها العالمي) سيظل واحدا، مهما اختلفت المذاهب والعقائد، والحضارات [١]. والعقل البشري استطاع بما اكتسب من خبرة، ودربة، ومرانة، أن يصنف هذه العلوم، وأن يحكم مابينها من وشائج، وأن يستفيد بما بينها من صلات، وروابط.

والنتائج العلمية متصل بعضها ببعض. ويعتمد بعضها علي بعض. ولهذا كانت الحضارات الإنسانية، ليست ملكا لأمة بعينها. ولاهي وقف علي جماعة من الناس، لأنها صرح هائل قد أسهمت فيه كل أمة بنصيب [٢].

ويلحق بهذه المنظومة من حقائق العلوم الطبيعية الخاصة بدراسة المادة، ودراسة ظواهرها وأسرارها، علي نحو ما، وإلي حد كبير، العديد من ثمرات التجارب الإنسانية في شتى الأنظمة، والوسائل، والخبرات، والمؤسسات التي ترشد أداء الإنسانية، وهي تسعي إلي تحقيق غاياتها ومقاصدها.

فعلي الرغم من تمايز المقاصد والغايات والمثل، فإن تجارب الإنسان في الوسائل، والمؤسسات، والنظم، قد تكون صالحة في معظم الأحيان للاستلهام، والتمثل، والاقتباس.

هذا عن العلوم الطبيعية، والتجارب المادية، التي تمثل حقائقها

---

(١) الغزو الفكري وهم أم حقيقة ص ١٦ بتصرف.

(٢) انظر أضواء علي الحضارة الإسلامية ص ٩٢.

وخبراتها فكرا عالميا، هو من صميم المشترك الإنساني.

أما الشق الآخر من الفكر، الذي يدخل في صميم الخصوصية الحضارية، التي تتمايز بتمايز الحضارات، فهو ذلك الذي ينطلق من العقائد والمذاهب والفلسفات.

فكما تميزت علوم (المادة) الثابتة بالعالمية، فغدت حقائقها، وقوانينها (مشتركا إنسانيا عاما). تميزت، وتتميز علوم العقائد، والمذاهب، والفلسفات، بالخصوصية الحضارية، التي تجعلها وثيقة الصلة بطبائع الأمم، ومعتقدات الشعوب، وطرائقها في الحياة[1].

وخلاصة القول: إن العلوم الطبيعية، والعلوم التي تجري بالتجربة الملموسة بالحواس المادية، والتي لا تختلف باختلاف المذاهب، والعقائد، والأجناس والفلسفات، ولا تتغير بتغاير القوميات، والحضارات. يوجد فيها ما هو مشترك إنساني عام لا يختص بحضارة بذاتها، وفي هذا الفكر أيضا ما يتميز بالخصوصية والاختصاص.

والتميز في الفكر، بين ما هو مشترك إنساني، وبين ما هو خصوصية حضارية إنما تحكمه وتحدده معايير موضوعية.

---

(٢٠) الغزو الفكري وهم أم حقيقة د/ محمد عمارة ص ١٧-١٨ .

المبحث الثاني

خطورة الغزو الفكري

خطورة الغزو الفكري

تبين مما سبق عرضه: أن هناك (غزو فكري) مقصود، وأن هذه حقيقة لا وهم، وأن خطر هذا الغزو ظاهر لأنه يعمل علي إذابة الشعوب، وانسلاخها عن عقائدها، وحضارتها، ومذاهبها، حتى تصبح مسخا شائها تابعا لغيره، مقلدا تقليدا أعمى، يؤمر فيطيع..

ولقد عمل الغزو الفكري علي خداع المجتمعات البشرية، وتضليلها، والتمويه عليها، وتشويه الحقيقة، وقلب الحقائق، وتزيين السوء حتى يُرى حسنا، وذلك عن طريق تصنيع الكلمة، وزخرفة القول، والدخول إلي المخاطب من نقطة الضعف، والاستغفال لإغرائه، والإيقاع به، والإيحاء إليه بسلامة الفكرة، وصحة المفهوم المزيف الذي تحمله كلمات الغزو الفكري.

وكم من شعوب وأمم وأجيال تهاوت، وتساقطت في هاوية التيه والضلال، والزيغ والانحراف، والفساد الخلقي، والعقدي، والاجتماعي، بسبب التصورات المزخرفة البراقة الخداعة (للغزو الفكري) التي يرقص الجهال والسذج علي نغم إيقاعها، ويفتنون بسماعها، ويسحرون بظاهرها البراق.

(ولكم عانت الإنسانية والشعوب من أولئك الذين يصنعون الغزو الفكري، ويصدرونه في موجات، تقتحم الديار والبيوت، لقد قادت الإنسانية إلي هاوية الضلال، والانحراف. ولقد كان (للغزو الفكري) في كل جيل، وفي كل عصر دوره التخريبي، في حياة الناس، إلا أن البشرية لم تشهد في مرحلة من مراحل حياتها وضعا كان فيه (للغزو الفكري) خبراء، ومتفلسفون وأجهزة، ومؤسسات، كعصرنا الحاضر هذا، الذي اتخذ فيه الغزو الفكري صبغة الفلسفة، والنظرية، والمبدأ، الذي يعتنقه الأتباع، ويدافعون عنه، وينقادون له..

وقضية الغزو الفكري، أصبحت اليوم، من أشد القضايا خطرا، وتبدو ظواهر هذا الغزو المدمر، في قلوب وعقول كثير من المثقفين، في هذا العصر واضحة بينة، والسلاح الذي يستعمله (الغزو الفكري) مدمر قتال، يؤثر في الأمم والمجتمعات، أكثر مما يؤثر المدفع والصاروخ والطائرة، وقد ينزل إلي الميدان، ويعظم خطره، حين تخفق وسائل الحديد والنار، في تحقيق الهدف، والوصول إلي الغاية، والخطر الذي يحتجنه هذا الغزو أكثر بكثير من قتل الأفراد، بل من قتل جيل بأسره. إذ يتعدى ذلك إلي قتل أجيال متعاقبة، والسلاح الذي يستعمله هذا الغزو هو سلاح الحيلة والشبهات وتحريف الكلم، والخديعة، في العرض[1].

---

(١) انظر المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري : إبراهيم نعمة ص ٧ ط شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة العراق س ١٩٨٦ م.

ومما لاشك قيه أنه لم تواجه رسالة من الرسالات السماوية، ولا شريعة من الشرائع، بمثل ما واجهت الشريعة الإسلامية منذ بزوغ فجره، تحديات عنيفة من مخالفيه، فقد واجه المشركين والوثنين في مكة المكرمة، واليهود في المدينة المنورة، ثم لما فتحت الأمصار، وانتشر الإسلام فيها واجهت الثقافة الإسلامية أفكارا شعوبية إلحادية، وفلسفات وثنية، كالفلسفات الفارسية، واليونانية، والهندية، وسائر الفلسفات الأخرى. ولكن الإسلام ثبت أمام هذه التحديات، وانتصر عليها. فقد كان المجتمع الإسلامي آنذاك يعي الإسلام وعيا كاملا، ويدرك مدى الأخطار التي كان يدسها الفلاسفة والزنادقة من خلال أفكارهم واتجاهاتهم وما يثيرونه من شبهات، وهي في جملتها تعمل علي نقل الفكر، من مجال أصالة الفطرة، ومنطق العقل الصحيح، وطريق التوحيد، وطابع الإيمان، إلي مجال الإلحاد والإباحية، غير أن مجتمع الإسلام تصدى لمثل هؤلاء، وأخذ يكشف زيغهم وضلالهم، وبين ما انطوت عليه قلوبهم من كيد، ولم تستطع أن تنال من الإسلام وشريعته عبر العصور والأجيال.

علي أن من أخطر هذه التحديات هي تلك التي تواجهها المجتمعات الإسلامية اليوم، وهي تحديات تتمثل بالمواجهة السافرة حينا والمستترة أحيانا، هذا التحدي الذي يتمثل حاليا بالغزو الفكري الغربي [1].

---

(١) انظر في ذلك نظرات في الثقافة الإسلامية / عز الدين الخطيب وآخرين ص ٣١ بتصرف. ط دار الفرقان عمان س ١٤٠٤ ه س ١٩٨٤ م الأردن.

إن الغزو الفكري أخطر ألف مرة من الغزو العسكري وذلك للأسباب الآتية:[١]

أولا: أن طبيعة الدور الريادي المنوط بأمتنا - كما حدده القرآن الكريم - يقوم علي العمل لتحرير البشر من عبادة كل الطواغيت إلي عبادة الحق سبحانه، سواء تمثلت هذه الطواغيت في السلطان المستبد، أو في الضعف البشري تجاه متع الحياة الدنيا، أو الخضوع لنزوات النفس البشرية الأمارة بالسوء، أو الالتصاق بالعنصر الطيني الهابط في طبيعة الإنسان.. وكما قال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّه......﴾ [آل عمران: من الآية١١٠].

ومن المحال أن يبلغ المسلم هذه المكانة التي أشارت إليها الآية الكريمة إلا إذا كان علي منزلة رفيعة من التفوق بالإيمان بالله وبالالتزام الكامل فكرا وسلوكا بخصائص التصور الإسلامي للكون والحياة.. وهذا ما لا يحدث مطلقا مع وجود التخريب الذي يصنعه الغزو في العقول والقلوب..

ثانيا: إن بلوغ المنزلة الربانية المشار إليها يتطلب قدرا غير عادي من الاستعلاء علي الحياة الدنيا بكل ما فيها بحيث لا تطرف عين المجاهد المسلم كل مغرياتها، ويكون حسبه منها - حقيقة - لقيمات يقمن

---

(١) الغزو الفكري أهدافه ووسائله د/ عبد الصبور مرزوق صـ٩ ـ ١١ بتصرف. الطبعة الثالثة ط/ رابطة العالم الإسلامي. إدارة الصحافة والنشر.

صلبه ويتعين بهن علي مواصلة دوره الكبير وعلي متابعة رحلته إلي النعيم الدائم الذي ينشده في أخراه..

وعندئذ لا تخيفه قوة الأقوياء مهما عظمت لاستناده إلي قوى الخالق الأعظم، ولا يرهبه الموت في سبيل الله مهما كان طعمه مرا، لأنه معبره الكريم إلي التكريم والخلود.. ولا تهتز نفسه أمام مغريات الدنيا لأنه يراها فانية..

وكل هذه المعاني يستحيل أن تقوم بالنفس إذا أغرقها غزاة الفكر في طوفان المتاع الحرام وفي حمأة التخاذل والضعف والانحلال..

ثالثا: إن نجاح أمتنا في أداء دورها يستوجب أن تتوفر لأبنائها طبيعة - غير عادية أيضا - في إيجابيتها الدائمة في رفض كل سلوك منحرف، والعمل علي تصحيح المواقف دائما وتعديلها نحو الحق والعدالة والخير... كما يدل عليه دائما - وببساطة - تقديم الأمر بالمعروف - وهو عمل إيجابي - علي النهي عن المنكر في جميع الآيات الكريمة التي وردت في هذا الموضوع في الكتاب الكريم..

ولنا في الآية التي أدانت قبول أي من أتباع ديننا العظيم لموقف من مواقف الاستخذاء في مواجهة الباطل واعتباره من الظالمين الذين مأواهم جهنم وذلك في قول الحق سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا

﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء:٩٧].

ومثله النهي القرآني الصريح عن الوهن وتضعضع النفوس في مواجهة أي محنة بسبب انتصار يحرزه المبطلون، والوعد الصريح بعلو أهل الإيمان دائما مهما وعرت الطريق وذلك في قول الحق سبحانه مؤكدا سنته في إحقاق الحق وإزهاق الباطل: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩:١٤٠].

فهذا الصمود الشامخ إيمانا بالقيم القرآنية الرفيعة واستشهادا في سبيلها لا يمكن بلوغه متى أمكن للغزاة تخريب النفوس من الداخل وإفقاد المسلمين أهليتهم للنهوض بدورهم الريادي..

ثم إن نجاح الغزو الفكري للعقول والقلوب المسلمة، معناه الإجهاز نهائيا وبطريقة ماكرة علي كل أثر يمكن أن يصنعه الإسلام في حياة الفرد أو حياة الأمة. وذلك أقصى ما يطمح الغزاة إليه.. لأنهم يدركون سلفا مدى استمساك المسلم بدينه، واستحالة تخليه عنه، ومن ثم فهم يكتفون من نتائج الغزو الفكري بأن يشلوا فاعلية الإسلام في حياة المسلم، ويتركوه في الحال التعسة.. لا هو مسلم ولا هو غير مسلم، لأن نتيجة الحسبة ستكون لصالحهم في كل الأحوال..

كما سيأتي من مقولات في التنصير لزويمر المنصر وغيره تدل علي ذلك.

***

المبحث الثالث

أهداف الغزو الفكري

أهداف الغزو الفكري

إن أخطر أسواق المنتجات سوق الأفكار، لأنه أكثر الأسواق تقبلا للتزييف والإفساد والتضليل، ومن ثم حفلت أسواقنا، بما هو أشد فتكا من السموم وأوسع انتشارا من الهواء، يتخلل كل خلية وينخر في كل عمار وبناء. أفكار مصدرة إلينا ترتدي أثوابا براقة، أو تحمل شعارات خداعة، أو ترفع مشاعل ليست إلا قناعا يستر الخطر والزيف والتضليل.

إن الغزو الفكري الذي اجتاح العالم الإسلامي والمكمل لأساليب الغزو التقليدية حينا والبديل عنها أو عن بعضها في بعض الأحيان!

إن هذا الغزو حقيقته تهدف إلي:[1]

١- أن تظل الشعوب الضعيفة أو النامية خاضعة لنفوذ القوي

---

(١) انظر الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام د/ علي عبد الحليم محمود ص ٨-١٠ بتصرف ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية س ١٤٠٤ هـ - س ١٩٨٤ م

المعادية لها، تلك القوي التي تتمثل في عدد محدود من الدول الكبيرة التي يحمي بعضها بعضا، ويتبادل ساستها الدفاع عن المصالح التي تهم أي طرف من أطرافها، بغض النظر عما يبدو علي السطح في بعض الأحيان من خلافات، إذ الحق أنها خلافات قشرية لا تتجاوز السطح بحال.

٢ - أن تظل بلدان العالم الإسلامي خصوصا والعالم النامي عموما تابعة لتلك الدول الكبيرة المتقدمة تبعية عير منظورة، وفي هذه التبعية يكمن دهاء تلك الدول المتبوعة وذكاؤها، فلبس أقتل للشعوب من أن تحس بالحرية والاستقلال بينما هي ترسف في قيود الذل والتبعية، إن ذلك مقتلة ذريعة لكل ما يجب أن تفكر فيه الدول الضعيفة لتقوي، وليس أضيع لمستقبل أمة من الأمم أن تعجز عن أن تخطط لمستقبلها ومصيرها إلا وهي دائرة في فلك دولة كبيرة واهمة ذاهلة عن حقيقة ما تعانيه من تبعية.

٣ - أن تتبنى أمة من الأمم - وبخاصة الأمة الإسلامية - معتقدات وأفكارا لأمة أخري من الأمم الكبيرة - وهي غير إسلامية دائما - دون نظر فاحص وتأمل دقيق لما يترتب علي ذلك التبني من ضياع لحاضر الأمة الإسلامية - في أي قطر من أقطارها - وتبديد لمستقبلها، فضلا عما فيه من صرفها عن منهجها وكتاب ربها وسنة رسولها ﷺ، وما يترتب علي هذا الصرف من ضياع أي ضياع، إذ لا يوجد مذهب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي يغني الأمة الإسلامية عن منهجها الإلهي، ونظامها الشامل المتكامل في كل زمان ومكان.

٤- أن تتخذ أمة من الأمم - وبخاصة الأمة الإسلامية - مناهج التربية والتعليم لدولة من هذه الدول الكبيرة، فتطبقها علي أبنائها وأجيالها، فتشوه بذلك فكرهم وتمسخ عقولهم، وتخرج بهم إلي الحياة وقد أجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئا واحدا هو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية أولا، ثم يلبس الأمر عليهم بعد ذلك فيحسبون أنهم بذلك علي الصواب، ثم يجادلون عما حسبوه صوابا ويدعون إليه، وهم بذلك يؤكدون تبعيتهم من جانب آخر، فيعيشون الحياة وليس لهم منها إلا حظ الأتباع والأذناب.

٥ - أن يحول العدو بين أمة من الأمم - وبخاصة الأمة الإسلامية - وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من أسلافها، ليحل محل ذلك تاريخ تلك الدول الكبيرة الغازية وسير أعلامها وقادتها، فيشب المثقف من أبناء تلك الأمة المقهورة وليس في نفسه مثل إلا ما يقرأ عنه في تاريخ الدولة الغازية، وليس في خلده أبطال إلا أبطالها ولا مفكرون إلا مفكروها، بل يصبح وهو لا يعرف من الحق والباطل إلا ما رأته هذه الأمة الغازية حقا أو باطلا، فتشوه بذلك رؤيته الحقة للناس والأشياء ويذهل عن تاريخه وسير الصالحين من أسلافه، ويذهل عن حاضره ومستقبله ويضل عن معالم طريقه.

٦- أن تزاحم لغة الغالب لغة المغلوب، فضلا عن أن تحل محلها أو تحاربها بإحياء اللهجات العامية أو الإقليمية، وما دام الإنسان لا يفكر إلا باللغة.. فإن إضعاف لغة أمة هو إضعاف لفكرها.. وإجبار للأمة

المغلوبة علي أن تفكر كما تفكر الأمة الغالبة.

٧- أن تسود الأمة المغزوة أخلاق الأمة الغازية وعادتها وتقاليدها، ومادامت الأخلاق السائدة في أمة من الأمم هي المعيار الدقيق الذي تقاس به هذه الأمة فإن هذه الأخلاق يجب أن تكون نابعة من القيم الأصيلة التي تسود الأمة وتحكم سلوكها وتوجهه، فإذا ما استوردت أمة من الأمم أخلاقها وقيمها من أمة أخري مسخت بذلك شخصيتها وتنكرت لأصالتها وعاشت تابعة ذليلة للأمة التي قلدت أخلاقها وخسرت من مستقبل أجيالها ما يزيدها اقترابا من أصالتها ووجدت نفسها أمام التبعية والضياع [1].

٨ - تصوير تراث الأمة الإسلامية بصورة التخلف، وعدم قدرته علي إمداد الحضارة المعاصرة بشيء مفيد ونافع، والادعاء بأنه لم يكن له فضل على ما جاء بعده من حضارات، حتى أوجدوا في الأمة الإسلامية من أبنائها من ينأون بجانبهم عن كل موروث، لا لشيء إلا لأنه قديم [2].

٩- إحياء الجوانب الضعيفة في التراث الإسلامي خاصة فيما يتعلق

---

(١) انظر المرجع السابق بتصرف ص ١٠.
(٢) انظر (في الغزو الفكري) د أحمد عبد الرحيم السايح ص ٧٧ كتاب الأمة رقم ٣٨ س ١٤١٤ هـ وانظر الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة د يوسف القرضاوي ص ٦١-٦٤ ط مكتبة وهبة ط أولي س ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م.

بالخلافات السياسية التي وقعت بين المسلمين أنفسهم، والتركيز علي دعوات الحركات الباطنية، وإخراجها بصورة جميلة مضيئة، ووصف هذه الدعوات بأنها كانت تحمل فكرا عاليا، وفلسفة عميقة [١].

١٠- إضعاف مثل الإسلام وقيمه العليا من جانب، وإثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر، وإظهار أي دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر.

١١- تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري، بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان، ونظمهم مقتبسة من الفرس وعلومهم وفلسفتهم منقولة عن اليونان، وحضارتهم خليط مركب مأخوذ من الأمم السابقة، ولم يكن العرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها [٢].

١٢- إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام. وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم [٣].

---

(١) (في الغزو الفكري) ص ٧٧ نقلا عن (المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري) إبراهيم نعمة ص ٣٠.

(٢) في الغزو الفكري ص ٧٧ نقلا عن شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي / أ. أنور الجندي ص ١٨ وانظر الثقافة العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ص ١٢٣ بتصرف.

(٣) انظر ما سبق من مراجع نفس الصفحات.

١٣- اقتلاع العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين، وصرفهم عن التمسك بالإسلام نظاما وسلوكا.

١٤- تفريغ العقل والقلب من القيم الأساسية، المستمدة من الإيمان بالله. ودفع هذه القلوب عارية أمام عاصفة هوجاء تحمل معها السموم عن طريق الصحافة والمسرح والفيلم والأزياء والملابس [١].

١٥ - الحيلولة دون تصدير مباديء الإسلام الحق إلي العالم الغربي، وذلك لأنهم علي يقين أن الدين الإسلامي في مثاليته وفي واقعيته، هو الذي يتفق والفطرة الإنسانية السليمة التي فطر الله تعالي الناس عليها قال تعالي: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: من الآية٣٠].

***

(١) في الغزو الفكري ص ٧٧- ٧٨.

الفصـــــل الثاني

أسباب الغزو الفكري وطرقه

المبحث الأول أســـــباب الغزو الفكري

أسباب الغزو الفكري

أما عن أسباب الغزو الفكري:

فكما أن للغزو الفكري أهدافا سبق الحديث عنها، فكذلك له أسباب متعددة تضح من خلال ما يأتي:

أولا : الفتوحات الإسلامية :

إن الفتوحات الإسلامية سطع نورها علي أوربا حيث أشاعت الخير والنور في أوربا، وأخرجت المجتمعات الأوربية من ظلمات الجهل والضلال إلي نور العلم والمعرفة، وحملت معها السلام والتقدم والحضارة، ولو لا هذه الفتوحات ما وصلت أوربا إلي ما وصلت إليه اليوم من التقدم العلمي والازدهار الحضاري.

لقد امتد المد الإسلامي حتى طرق أبواب فيينا، وتجاوز جنوب فرنسا وجنوب ايطاليا، وجزر البحر الأبيض.. وأطبق من شرق أوربا ومن غربها. يقول (تولستوى): أحد الكتاب الروس معربا عن الإعجاب بالإسلام ومتحدثا عن المسيحية حيث أنكر عليهم اعتقادهم

بألوهية المسيح، موضحا أن بولس لم يفهم تعاليم المسيح بل طمسها، وأن الكنيسة زادت تعاليم العقيدة غموضا فيقول: (إن المسيحين اليهود والمسلمين يعتقدون بالوحي الإلهي. فالمسلمون يعتقدون بنبوة موسى وعيسي، ولكنهم يعتقدون كما أعتقد بأنه دخل التحريف والتشويه علي كتب الديانتين وهم يعتقدون بأن محمدا– خاتم الأنبياء وأنه أوضح في القرآن تعاليم موسى وعيسى... ويتحدث عن الرسول محمد ﷺ حديث الإكبار والتعظيم، حيث قال: (لا ريب أن هذا النبي من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ويكفيه فخرا أنه هدي أمة برمتها إلي نور الحق وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الدماء، وتقديم الضحايا ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقي والتقدم، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص ذو قوة وحنكة، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال. وقد كان جزاؤه علي كلمة الحق هذه أن حرمه البابا من الرحمة[١].

فالفتوحات الإسلامية كانت فتوح علم ورحمة وهدى، دعت الإنسانية إلي الإيمان بخالقها وحررتها من عبوديتها لغيره. كما حررتها من سلطان الجهل والأوهام وظلم الإنسان، وردتها إلي سلطان العلم وعدل الإسلام، فتحرر أهل البلاد المفتوحة، في أبدانهم وفي نفوسهم وعقولهم[٢].

---

(١) التبشير والاستشراق أحقاد وأطماع ص ٢٨ –٢٩ .

(٢) الإسلام وخرافة السيف د / عبد الودود شلبي ص ٢٥٩ .

فلم تكن حركة الفتوح الإسلامية حركة تطويق وإذلال ومصادرة للأفكار، لأن دعوة الإسلام لا تعرف الاضطهاد لغير المسلمين، وإنما دعوة تقوم علي الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن قال تعالي: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

وقال تعالي: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٦].

ويشهد التاريخ، وكل عالم منصف حر. لقد عاش النصارى في ظل الخلافة الإسلامية حياة آمنة طيبة لهم حقوقهم الدينية كاملة أفضل من إخوانهم الذين عاشوا في ظل الدولة المسيحية سواء أكان في الشرق أم في الغرب. ولا يغيب عنا ما سطرته المصادر الإسلامية باهتمام ولاة الأمة الإسلامية بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن بين الذين شهدوا للإسلام بذلك (غوستاف لوبون فقد قال: (إن القوة لم تكن عاملا في انتشار القرآن، فقد ترك العرب الفاتحون المغلوبين أحرارا في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض النصارى الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما رأوه من عدالة الغالبين ولما لمسوه في الإسلام من سهولة ويسر لم يعرفوها من قبل، ولم ينتشر الإسلام بالسيف وإنما

بالدعوة وحدها [١].

إن المنصفين من علماء الغرب الدارسين للتاريخ، ليعرفون حق المعرفة أن السلطة الإسلامية هي أول سلطة في تاريخ البشرية اعترفت بحق رعاياها في اعتناق ما يخالف الإسلام، الدين الرسمي للدولة أو دين السلطة الحاكمة، وهذا تاريخ الإسلام الممتد عبر أربعة عشر قرنا يشهد شهادة واقع أن الدولة الإسلامية لم تعدم أو تعذب أحد رعاياها بسبب معتقداته، وإنما يكون ذلك لأسباب سياسية أو للصراع علي السلطة والحكم

ثانيا: الحقد الصليبي علي الإسلام:

يدرك الباحثون أن أوربا اكتشفت الفكر الإسلامي، في مرحلتين من مراحل تاريخها، فكانت مرحلة القرون الوسطى حيث أقبل بعض الأوربيين علي دراسة الفكر الإسلامي، بهدف الكيد للإسلام والمسلمين، فحاول هؤلاء الأوربيون اكتشاف هذا الفكر وترجمته.. من أجل إثراء ثقافتها. بالطرق التي أتاحت لها فعلا تلك الخطوات، التي هدتها إلي حركة النهضة، منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وفي المرحلة العصرية والاستعمارية، فإنها تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخري، لا من أجل تعديل ثقافي، بل من أجل تعديل سياسي لوضع

---

(١) الاستشراق وجه للاستعمار الفكري الشيخ عبد المتعال الجبري ص ٢٧٢. ط/ مكتبة وهبة

خططها السياسية، مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية، ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه السياسات في البلاد الإسلامية من ناحية أخرى [١].

وقد ذكر المؤرخون دوافع للصليبيين من وراء هجماتهم علي البلاد الإسلامية وكان أبرزها دافعين:

الدافع الأول: دافع ديني: [٢]

إنها العصبية العمياء، التي آثارها رجال الدين الكنسي في الشعوب الأوربية، فقد افتروا علي الإسلام والمسلمين أبشع الافتراءات وحرضوا النصارى أشد التحريض علي تخليص مهد المسيح من أيدي الكفار - أي المسلمين - فكانت جمهرتهم قد أخرجتهم العصبية الدينية، من ديارهم عن حسن نية، وقوة عقيدة، إلي حيث يلاقون الموت، والقتل والتشريد، حملة بعد حملة، وجيشا بعد جيش.

حيث لم ينس الغرب أن الدين الإسلامي انتشر علي حساب باطلهم الذي تمسكوا به، وسحب البساط من تحت أقدامه في أماكن

---

(١) انظر: إنتاج المثقفين وأثره في الفكر الإسلامي للأستاذ / مالك بن نبي ص ٨ ط دار الإرشاد بيروت س ١٩٦٩ م

(٢) ذكر المؤرخون أهدافا أخري إلي جانب هذا الهدف مثل الهدف الاقتصادي، والتجاري، والسياسي، وأهدافا أخري ثانوية لا تقلل من الهدف الأول والأقوى وهو الهدف الديني. راجع كتاب جهاد المسلمين في الحروب الصليبية د / فايد عاشور.

كثيرة من العالم كانت تدين بهذا الباطل. بل لم ينس الغرب أن الإسلام هاجمه في عقر داره بفضل ما جاء به من مبادئ قامت علي العدل والرحمة فدفعته - أي الغرب - عصبيته العمياء، وجهالته المطبقة لباطله دون نظر أو تفحص إلي معاداة الإسلام وأهله، والعمل علي القضاء علي الإسلام والمسلمين.

فالتمس الغرب لذلك ما يتوهم من أسباب كادعاء سوء المعاملة لبعض النصارى بسبب عقيدتهم، والحقيقة أن الدولة الإسلامية عاملتهم هذه المعاملة بسبب خروجهم علي العرف الإسلامي، ومحاولاتهم دائما الكيد للإسلام والمسلمين والتآمر مع بعض أعداء الإسلام.

فقام الغرب بتضخيم هذه الحوادث الفردية وجعل منها تعميما شاملا ليشوه صورة الإسلام، ونسي الغرب الحقود ما صاحب انتشار النصرانية المحرفة من تشريد وقتل وسفك للدماء في ظل أباطرة روما ومن جاءوا بعدهم حتى نهاية العصور الوسطى وردحا طويلا من العصر الحاضر، وانساق الغرب وراء مزاعم آباء الكنيسة الذين امتلأت قلوبهم حسدا وحقدا علي الإسلام والمسلمين، تدفعهم العصبية العمياء ونزعة الكبرياء والتفرد إلي محاربة الإسلام والوقوف في طريق انتشاره في المعمورة.[1]

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في : التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية د/ أحمد شلبي ص ٨١ بتصرف ط/ مكتبة النهضة المصرية ـ ط١ / ١٩٧٢م. وانظر جهاد المسلمين في الحروب الصليبية فايد عاشور ص ٩٥ . والغزو الفكري د/ مجدي الصافوري ص ١٢ بحث مستقل١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م.

والدافع الثاني: دافع سياسي استعماري:

فلقد سمع ملوك أوربا بما تتمتع به بلاد المسلمين من حضارة، وثروات، فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح، وما في نفوس إلا الرغبة في الاستعمار والفتح، وشاء الله أن ترتد الحملات الصليبية كلها مدحورة مهزومة [١].

ومعلوم أن الحروب الصليبية بدأت منذ القرن الحادي عشر، واستمرت حتى نهاية القرن الثالث عشر، أي ما يقرب من مائتي وخمسة وعشرين عاما، في ثماني حملات من الحملات المدججة بالعدة والمعدات ويصف كاهن مدينة (لوبوي ريموند واجيل) سلوك الصليبين حينما دخلوا علي القدس فيقول: (حدث ما هو عجيب بين العرب حينما استولى قومنا علي أسوار القدس وبروجها، فقطعت رؤوس بعضهم فكان هذا أقل ما أصابهم، وبقرت بطون بعضهم فكانوا يضطرون إلي القذف بأنفسهم من أعلي الأسوار، وحرق بعضهم في النار فكان هذا بعد عذاب طويل، وكان لا يري في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا علي جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن إلا بعض ما نالوه [٢]

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي د / مصطفي السباعي ص ١٨٧ – ١٨٨ ط / دار المكتب الإسلامي بيروت ودمشق س ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م.

(٢) حضارة العرب د / غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر ص ٣٢٦ – ٣٢٧ ط / ثانية س ١٩٤٧ م.

وروى الكاتب نفسه ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر رضي الله عنه يقول هذا الكاتب: (لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان فكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها فإذا ما اتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها... وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة... ولم يكتف الفرسان الصليبيون الأتقياء بذلك، فعقدوا مؤتمرا أجمعوا فيه علي إبادة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود، وخوارج النصارى، الذين كان عددهم نحو ستين ألفا، فأفنوهم علي بكرة أبيهم في ثمانية أيام، ولم يبقوا منهم امرأة، ولا ولدا، ولا شيخا [(١)].

وعمل الصليبيون مثل ذلك في مدن المسلمين التي اجتاحوها. ففي(المعرة) قتلوا جميع من كان فيها من المسلمين اللاجئين إلي الجوامع، والمختبئين في السراديب، فأهلكوا صبرا ما يزيد علي مائة ألف إنسان في أكثر الروايات، وكانت المعرة من أعظم مدن الشام وأكثرها عددا للسكان بعد أن فر إليها الناس بعد سقوط أنطاقية وغيرها بيد الصليبين[(٢)].

وجدير بالذكر أن الحملة الصليبية عند دخولها بيت المقدس في ١٥ / ٧ / ١٠٩٩ م ٣/ ٩/ ٤٩٣ هـ.

---

(١) حضارة العرب ص ٣٢٦ – ٣٢٧.

(٢) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة د / جميل عبده محمد المصري ص ٦٥ / مكتبة العبيكان نقلا عن الإسلام والحضارة العربية ص ٣٩٦٠

قد ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم حتى سبحت الخيل إلي صدورها في الدماء. وفي أنطاكية قتلوا أكثر من مائة ألف مسلم [(١)].

وقد روى الراهب روبرت، أحد الصليبين المتعصبين وهو شاهد عيان لما حدث في بيت المقدس، واصفا سلوك قومه: (كان قومنا يجوبون الشوارع، والميادين، وسطوح البيوت، ليروا غليلهم من التقتيل، وذلك كاللبؤات التي خطفت صغارها، كانوا يذبحون الأولاد والشباب، ويقطعونهم إربا، وكانوا يشنقون أناسا كثيرين بحبل واحد، بغية السرعة. وكان قومنا يقبضون علي كل شيء يجدونه، فيبقروا بطون الموتى، ليخرجوا منها قطعا ذهبية، فيا للشره، وحب الذهب، وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث[(٢)].

فالأمر إذن جد خطير، إنه حقد أهل الشر والباطل علي أهل الخير والحق، وأهل الرذيلة علي أهل الفضيلة، وعداوة الشرك للتوحيد، وخصومة الضلال للهدي. وقد صمدت الأمة الإسلامية في وجه هذه الحروب الوحشية التي سلبت ونهبت، وقتلت وفتكت، وتيقظ الإيمان في قلوب المسلمين[(٣)].

---

(١) المرجع السابق ص ٦٠ .

(٢) الحضارة العربية / لوبون ص ٣٢٥، وتاريخ العرب / فيلب حتى ص ١٩٤ – ١٩٥ .

(٣) أضواء علي الثقافة الإسلامية د/ نادية شريف العمري ص ١٦٤ ط / مؤسسة الرسالة الطبعة التاسعة س ١٤١٩ ه / ١٩٩٨ م.

وبعد مرور أكثر من قرنين تخللهما حروب دامية، اشتد وطيسها، بين كتائب المؤمنين، وبين جحافل الأشرار، ارتدت الحروب الصليبية، وقد باءت هذه الحملات بالفشل والهزيمة الساحقة، فقد مني لويس التاسع في حملته علي مصر بهزيمة قاسية عند مدينة المنصورة وأسر وسجن بدار ابن لقمان حتى افتدي بمال كثير وعاد إلي الغرب وكانت هذه الهزيمة (إيذانا بتقلص حملات النصارى علي العالم الإسلامي وإن قاموا بعد ذلك بحملات هزيلة علي المغرب العربي إلا أنها لم تأت بشيء اللهم إلا مزيد من الذل والمهانة [١].

ومن ثم أخذ أعداء الإسلام يفكرون في تغير منهجهم لما أيقنوا أن قوة الحديد والنار لا تجدي نفعا مع المسلمين، الذين يملكون عقيدة راسخة، تدفعهم على الجهاد، وتحضهم علي التضحية بالنفس، وبكل غال وثمين.

فكانت وصية لويس التاسع ملك فرنسا أن يهتم أتباعه بتغيير فكر المسلمين،والتشكيك في عقيدتهم، وشريعتهم، وذلك بعد أن درسوا الإسلام لهذا الغرض، وهكذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار إلي ميدان الثقافة والفكر.

وقد جاءت وصيته في مخططه الجديد لسياسة الغرب علي النحو التالي:

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجه الإسلام د / سعد الدين صالح ص ٢٨ ط / دار الأرقم ٠

١- تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلي حملات صليبية سلمية، تستهدف الغرض نفسه لا فرق بين الحملتين إلا في نوعية السلاح الذي يستخدم في المعركة، فلم يعد السلاح هو المدفع أو الطائرة، ولم يعد الجندي هو ذاك الذي يلبس البذلة الصفراء، بل أصبح السلاح هو الفكرة، والقول اللين، الذي ظاهره الرحمة وباطنه فيه العذاب.

وأصبح المستشرق والمبشر هو الجندي بلبسه الأنيق، وأسلوبه الناعم الذي لا يثير النفس كما كانت تحدثها البذلة الصفراء. هذا الجيش الجديد هو الذي يستطيع في نظر الملك (لويس) أن يقضي علي الإسلام أو يوقف انتشاره.

٢- العمل علي استخدام من يمكن إغراؤهم من مسيحي الشرق في تنفيذ سياسة الغرب(الكنائس الوطنية.)

٣- العمل علي إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق الإسلامي، يتخذها الغرب نقطة ارتكاز ومركزا لقواته الحربية، ولدعوته السياسية، والدينية، ومنها يمكن حصار الإسلام والوثوب عليه كلما أتيحت الفرصة لمهاجمته، وقد عين (لويس التاسع) لإنشاء هذه القاعدة الأراضي الممتدة علي ساحل البحر المتوسط من غزة إلي الإسكندرية، وتشمل فلسطين والأردن، والبلاد المقدسة، ثم لبنان بأسرها وجزء من سوريا [1].

---

(١) انظر. الإسلام وخرافة السيف د / عبد الودود شلبي ص ٢١٨ – ٢١٩. واحذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ص ٣٣ – ٣٤. وانظر الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ص ٨٠ د/ عبد المتعال الجبري ٠وانظر تحديات الغزو الفكري ص ١٢. مرجع سابق ٠

ولقد بدأ حرب (الغزو الفكري) من منطلق ضرب المسلمين عن طريق الكلمة، بعد هزيمة الحروب الصليبية- كما وجههم - (لويس التاسع) العمل علي ترجمة القرآن، والسنة، وعلوم المسلمين للبحث عن الثغرات التي يدخلون منها إلي إثارة الشبهات، وقد أعلنوا صراحة أن الإسلام هو عدوهم الأول، وأن أكبر غاية لهم هي ضرب وهدم قواعده [١].

وإن كانت الحروب الصليبية قد فشلت حربيا.. لكن بقي - الغزو الفكري - ينفث سمومه، ويثير الشكوك ولا شك أن العداء الصليبي للإسلام، هو الدافع الأساسى للغزو الفكري، فقد أخذ هذا العدو (شكل السعار الوبائي) لدى الأمم الغربية (الصليبية) فأخذوا مستميتين يوزعون السموم، ذات اليمين، وذات الشمال، ويفترون الأكاذيب، ويطمسون الحقائق، ويدبرون المكائد، ويتصيدون السقطات، ثم يدخلون في روع أنفسهم، وبني جلدتهم أنهم أرقى عنصرا، وأفضل عقلا، وأفلح دينا، وأنهم أوصياء علي البشرية، وسادة الإنسانية، وهداتها، ومرشدوها [٢].

وهذه بعض أقوال بني جلدتهم التي تدل علي مخططاتهم للغزو الفكري، وذكر ما رشح عنها من أسباب كرههم للإسلام وعداء الغرب للمسلمين.

---

(١) المد الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجري. الأستاذ / أنور الجندي ص ٢٦ ط / دار الاعتصام بالقاهرة س ١٩٨٢ م.

(٢) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية د / توفيق يوسف الواعي ص ٧٠٤ — ٧٠٥.

يقول (غاردنر): (إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربا)[١].

وهذا أحد رؤساء وزراء بريطانيا السابق (جلادستون) يقول: (مادام القرآن موجودا فلن تستطيع أوربا السيطرة علي الشرق، ولا أن تكون هي نفسهـا في أمان) [٢].

ويذكر المستشرق (بيكن) بعض أسباب هذا العداء فيقول: (إن هناك عداء من النصرانية للإسلام، بسبب أن الإسلام عندما انتصر في العصور الوسطى أقام سدا منيعا في وجه الاستعمار، وانتشار النصرانية، ثم امتد إلي البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها) [٣]

ويضاف إلي ذلك ما قاله (لورانس براون): (إن الخطر كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته علي التوسع والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي) [٤]ثم يسترسل قائلا: (إن خطر المسلمين هو الخطر العالمي الوحيد في هذا العصر، الذي يجب أن تجتمع له القوى، ويجيش له الجيوش، وتلتفت إليه الأنظار، فيقول حاكيا.

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة د / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ١٣ ط / بيروت دار القلم س ١٩٧٧ م

(٢) أضواء علي الثقافة الإسلامية د / نادية العمري ص ١٦٧.

(٣) أجنحة المكر الثلاثة ص ٧٠٥.

(٤) المصدر السابق ص ٧٠٥، وانظر التبشير والاستعمار لعمر فروخ والخالدي ص ١٨٤ ط المكتبة العصرية ٠

أراء المبشرين (المنصرين): إن القضية الإسلامية تختلف عن القضية اليهودية، إن المسلمين يختلفون عن اليهود في دينهم، إنه دين دعوة، إن الإسلام ينتشر بين النصارى أنفسهم، و بين غير النصارى، ثم إن المسلمين كان لهم كفاح طويل في أوربا – كما يراه المبشرون – وهو أن المسلمين لم يكونوا يوما ما أقلية موطوءة بالأقدام) [١].

إن هذه الأحقاد والضغائن كانت السبب الرئيس في الإغارة علي الأمة الإسلامية، بمختلف الأساليب، والأشكال، والطرق، وما زالت تلك الموجة تشتد، وتعلو، وتمتد، ثقافيا وفكريا، لتخريب قواعد الإسلام، وإشاعة الأفكار والتيارات الهدامة[٢].

وأصبحت الأمة مشغولة بما هو هامش في حياتها، حتى لا تدركها اليقظة الواعية، ولا تنتبه إلي ما يدبر لها ويحاك حولها.

لقد أيقن الغربيون أن خير وسيلة لغزو الأمة الإسلامية وإخضاعها، هو سلوك الغزو الفكري، فوضعوا خططهم، وحاكوا مؤامراتهم للغارة علي أفكار الأمة ومفاهيمها الإسلامية، وأصبحت قاعدتهم التي ارتكزوا عليها: (إذا أرهبك عدوك فأفسد فكره ينتحر به، ومن ثم تستعبده) وانطلقت الصيحة إلي ضرورة نقل المعركة من

---

(١) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص ٧٠٦.

(٢) انظر :المرجع السابق ص ٧٠٧، والمد الإسلامي في القرن الخامس عشر ص ٢٨٦

الساحات الحربية إلي ميدان الفكرة والمعرفة)[١].

إن الواقع المر الذي لا فكاك عن الاعتراف به أن أعداء الأمة الإسلامية، أغاروا علي حضارتها، وثقافتها، سعيا وراء هدم عقائدها، وأفكارها، وإحلال الأفكار الغربية محلها. ساء ما يفعلون، وبئس ما يخططون، وأسأل الله أن يخيب مسعاهم، ويفضح نواياهم، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

ثالثا: التقدم العلمي عند الغرب:

لقد كان الغرب يملك تقدما علميا فائقا، وتقدما ماديا هائلا، وعبقرية تنظيمية مبدعة، وروحا من الجلد والصبر علي العمل والإنتاج، وروحا عملية في مواجهة المشكلات من ناحية الدراسة أو من ناحية التنفيذ[٢].

ولا ريب أن التقدم العلمي المذهل الذي شهده الغرب، كان له من القوة الدفاقة والانتشار السريع، ما بهر العقول، وفتن الألباب، ولا غرو فقد بز بذلك كل تقدم علمي عرفه العالم، وسمعت عنه البشرية في التاريخ المترامي الأطراف، واستطاع أن يخرج من الأسرار، ويكشف من

---

(١) نظرات في الثقافة الإسلامية / عز الدين الخطيب وآخرون ص ٣٣، وأجنحة المكر الثلاثة ص ١٤.

(٢) واقعنا المعاصر الأستاذ محمد قطب ص ٣٤٣ ط مؤسسة المدينة جدة سنة ١٤٠٧ هـ.

الاختراعات، ما جعل أبصار الناس وعقولهم، تتعلق به [١].

فاتجهت الأنظار، والعقول، والقلوب، إلي الغرب - خاصة وهذا العلمَ أصبح في خدمة البشرية - تتطلع إلي ما فيه من اكتشافات تأتي بجديد، فتعود علي البشرية بالنفع.

ومن ثم واجهة الأمة الإسلامية مشكلة هذا التقدم العلمي الغربي، وهذا التحدي السافر علي طريق واحد، وهو صاحب الحضارة العريقة، والرسالة الدينية الخاتمة، وصاحب الشهادة علي الإنسانية، بعد ما انسحبت كل الديانات والفرق والمذاهب، متوارية من نوره الوهاج، وحجته المشرقة، وصاحب المساحة الواسعة، والثقافة العريقة، والقوي الكبرى التي كان يحسب لها ألف حساب. (فكان تحدي الحضارة المادية للعالم الإسلامي، أعظم من تحديها لأي أمة، ولأي حضارة، ولأي ثقافة، وقد صاحب تلك الحضارة مذاهب فكرية، وفلسفات مادية، ونظم سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وعمرانية، وخلقية، وكان لابد أن ينظر الناس - وخاصة الشعوب النامية - إلي هذه المذاهب، والفلسفات والنظم، نظرة تقدير واحترام، لأنها نتاج تلك الشعوب المتقدمة، وحصاد تلك الأمم المتطورة، التي فتت الذرة، وصنعت الطائرة والصاروخ، وأدارت الأقمار) [٢]. وغزت الفضاء وصنعت (الحاسوب) - الكومبيوتر -، والهندسة الوراثية، أى التي انتهت إلي مرحلة يعبرون

---

(١) راجع في ذلك : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص ٦٨٥.
(٢) المرجع السابق ص ٦٨٦.

عنها ب- (الثورة البيولوجية) وأصبحت تراقب سلوكيات البشرية كلها عن طريق الأقمار الصناعية – وخاصة تحركات المجتمعات الإسلامية – وتكتشف من الفضاء الواسع، ما يزيدها من العلم تمكينا، وأصبحت الأمة الإسلامية تمجد الحضارة الغربية، والتقدم العلمي والصناعي الأوربي، واستطاع الغرب أن ينقل الإنتاج المادي إلي المجتمعات الإسلامية في أفريقيا، وفي أسيا، لاستخدام هذا الإنتاج في تسيير الحياة، والتغلب علي الصعوبات والمشاق التي عادة تصحب الحياة الإنسانية المتخلفة، أو البدائية، وذلك لتكون شواهد مادية، ترى وتختبر في التطبيق وفي واقع الحياة [١].

ومن ثم أقول: إن الفجوة التي بيننا وبين الغرب ليست نتيجة لتخلف خلقي – بكسر الخاء – في طبيعتنا وتكويننا، وإنما هي حصيلة الغفلة والإهمال عبر سنين طويلة، كانت الأمة قبلها ذات تفوق في فروع العلم النظري والتجريبي، وكان الغرب يومئذ عالة في ذلك علي الأمة الإسلامية، وهذا واضح وواقع لا ينكره التاريخ، حتى ليقرأ في كتابات وبأقلام المتعصبين ضد الإسلام.

رابعا: ضعف الأمة الفكري وتفككها الاجتماعي:

قال أحد الأدباء: (أمران لا يحدد لها وقت بدقة، النوم في حياة الفرد، والانحطاط في حياة الأمة، فلا يشعر بهما إلا إذا غلبا واستوليا)

---

(١) انظر الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر د / محمد البهي ص ٥٤ مرجع سابق.

إنه لحق في قضية أكثر الأمم، ولكن بدأ التدلي والانحطاط في حياة الأمة الإسلامية أوضح منه في حياة الأمم الأخرى، ولو أردنا أن نضع إصبعنا علي الحد الفاصل بين الكمال والزوال لوضعنا علي ذلك الخط التاريخي الذي يفصل بن الخلافة الراشدة، والملوكية العربية أو ملوكية المسلمين [(١)].

لقد أصيبت الأمة الإسلامية بالضعف الفكري، والتفكك الاجتماعي، وذاقت من جراء تلك الإصابة مرارة التأخر، والضعف الفكري ما أصيب به مجتمع من المجتمعات، أو أمة من الأمم، إلا كانت حالتها انحطاط في التفكير، واهتمام بالأساطير والخرافات.

ومعلوم أن التفكك الاجتماعي يظهر بسبب الضعف الفكري، لأن الضعف الاجتماعي لا يكشف للمرء مخاطر الوقوع في الواهية، ولهذا تجد الأمة الإسلامية، ابتليت بالطوائف المتفرقة المتناحرة، والمذهبية التعصبية، وتعدد الدويلات، التي قامت علي أساس شعوبي أو مذهبي، في هذه الدولة أو تلك.

ومن ثم عاشت الأمة الإسلامية في فوضى قاتلة، وتناحر مذموم، ونهب وقتل، دون وازع من إيمان أو رادع من سلطان.. وأمة هذا شأنها، وذاك وضعها وواقعها، لابد وأن تتعرض لسيطرة أعدائها المتربصين بها.

---

(١) انظر : (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ الأستاذ / أبو الحسن الندوي ص ١٨٤ ط مكتبة السنة س ١٩٩٠م / ١٤١٠ هـ.

لقد كانت السلطة السياسية في الدول والمجتمعات الإسلامية تعيش في وضع مقلوب، (وفي ذلك الوضع لا بد أن تكتمل الصورة المقيتة لأي إمبراطورية علي وشك السقوط، بغض النظر عن اللافتة التي ترفعها، سواء كانت إمبراطورية فارسية، أو بيزنطية، أو رومانية، أو عباسية. لابد أن تتفشى الرشوة، وتكثر مصادرة الأموال، وتتفاقم الاضطرابات الداخلية، مع الانحلال الخلقي، والانشغال بالتوافه عن الخطر الذي يدق الأبواب) (١)

يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالي: (وأساس انهيار الأمم يبدأ من الداخل وقد يأتي تدخل خارجي ليعمل بالسقوط. ولكن يظل الانهيار الداخلي هو بداية النهاية وعاملها الأكبر، ويأتي الانهيار الداخلي حين تتكون طبقة مترفة تتحكم في الثروة، وفي الجماهير، فتنتشر الظلم، والانحلال وتحيل حياة الأكثرية إلي جحيم تهون فيه الحياة) (٢)

ولا يخفى علي ذي بصيرة أن المجتمعات الإسلامية عاشت ردحا من الزمن، في تأخر فكري وتفكك اجتماعي كان سببا في تأخرها وضعفها، حتى كانت مرمي سهلا للغزاة الطامعين فيها.

وأي مجتمع يضعف في أفكاره، ويصبح لا يعرف إلا القشور منها، ويعيش في تفكك وتناحر، لابد وأن يسقط، وينحط، فينال منه كل عدو كان يهابه أو يخشاه.

---

(١) تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل فضيلة الشيخ محمد الغزالي ص ١١٠ ط دار الشروق بيروت.

(٢) المرجع السابق ص ١١٣.

خامسا: انحطاط المجتمعات الإسلامية عن ركب الحضارة:

إن الأمة الإسلامية حين أصابها الضعف الفكري، والتفكك الاجتماعي، انشغلت بالأمور السطحية، فقادها ما انشغلت به إلي الانحطاط عن ركب الحضارة، والتقدم.. ويعنى هذا أن الأمة انصرفت عن تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، التي تدعو إلي العلم والمعرفة، والحث علي استعمال العقل، والفكر، في كل ما من شأنه أن يأخذ بالبشرية إلي الطريق المستقيم، (وواكب هذا الانصراف انحطاط في القيم ودعوات إلي الركون إلي المتع، والعبث بالأموال، إلي حد السفه والجنون، والترف والفجور) [١].

لقد فشي في المجتمعات – إلا من رحم ربي – الظلم والعبودية، والبؤس والشقاء، والرياء والنفاق، والصور التي لا تتناسب مع تعاليم الإسلام وشريعته

وأمسى في المجتمع الأيادي المطلة و الأرجل المشلولة والأئمة الذين لا تابع لهم، والشعوب التي لا راعي لها والأخوة الذين يعادي بعضهم بعضا.

إن الأمة بهذه الصورة تسلل إليها التخلف والانحطاط مما أضعف ثقتها بنفسها، وأوقف عجلة تقدمها، وجعلها تعتمد في كل شيء علي غيرها.

---

(١) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص ٦٩٦.

مع أن الناظر في عقيدة الإسلام وشريعته، يجد أن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار، ويساير الركب البشري حيث اتجه. بل خلق ليوجه العالم والمجتمع،

والمدنية، ويفرض علي البشرية اتجاهه، ويملي عليها إرادته، لأنه صاحب الرسالة، وصاحب العلم اليقين، ولأنه المسؤول عن هذا العالم وسيره واتجاهه

فليس مقامه مقام التقليد والإتباع، إن مقامه مقام الإمامة والقيادة، ومقام الإرشاد والتوجيه. ومقام الآمر الناهي [١].

إن الأمة لها ما يميزها عن غيرها والمسلم فردا من هذه الأمة، (إن الشعور بالتميز يصون في الأمة مقومات وجودها، وينشئ لها كيانا راسخا صلبا، لا يعتريه التصدع، أو ينفذ إليه الخلل، ما دام هذا الشعور مستندا إلي الحق والخير والفضيلة، منبثقا من جوهر العقيدة، وأصولها الثابتة، متصلا بالشريعة وأحكامها بأوثق سبب)[٢]

إن التخلف العقلي الذي أصاب الأمة لا يكمن في عدم الذهاب إلي الجامعات، واكتساب المعارف فقط، بقدر ما يكمن في التبلد، والخمول، والنوم، والرضا بالدون، وموت الهمة[٣].

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ ص ٢٢.
(٢) لمحات في الثقافة الإسلامية / عمر عودة الخطيب ص ٧٩ ط مؤسسة الرسالة الطبعة الحادية عشر س ١٤١٢ هـ / ١١٩٩ م.
(٣) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص ٦٩٨.

إن السنن الكونية لا تعرف المحاباة، فالأمة التي دندنتها التواكل، وحالها يقوم علي الاستجداء، والكسل، والتبعية، والاستسلام والخضوع، أمة لا تستحق الحياة الكريمة، لأن الحياة الحرة لا تتأتى لمجتمع دون ثمن، أو لأمة دون تضحية، فإذا تنكر لها الزمان، وعصاها المجتمع، وانحرف عن الجادة، لم يكن لها أن تستسلم أو تخضع وتضع أوزارها وتسالم الدهر، بل عليها أن تثور عليه، وتنازله، وتظل في صراع معه وعراك، حتى يقضي الله في أمره.

إن فقر الأمة في جوهره وجذوره ليس فقرا في السلاح والمعدات، أو فقرا في المال والإمكانات، وإنما يكمن في فقر النفوس وعجزها، وضعف الإرادة واضطرابها..[1]

إن تخلف الأمة عن ركب الحضارة، وانحطاطها عن التقدم والرقي، قد يقودها إلي مصير مظلم، وهلاك محتم، ولذا كان الانحطاط والتخلف، عاملا من عوامل الغزو الفكري الذي جريء الغرب علي غزو المجتمعات الإسلامية، ومحاولة إفساد أخلاقه، وثقافته، وفكره.

تنوعت أشكال الغزو الفكري في العصر الحاضر، أخذت تغزو العالم الإسلامي والمجتمع العربي خاصة بقيم جديدة ليبتعد عن قيمه ومثله المنبعثة من عقيدته وشريعته.

---

(١) معارك حاسمة في حياة المسلمين د / أحمد عبد الرحيم السايح ص ١٥٥ ط دار اللواء بالسعودية س ١٤٠٩ هـ.

ولقد انطلق هذا الغزو من عدة جبهات أبرزها ما يأتي:

١ – الاستعمار (العسكري والثقافي).

٢ – العلمانية. ٣ – القومية. ٤ – التنصير.

٥ – الاستشراق ٦ – الماسونية. ٧ – الصهيونية.

وسأتحدث بإذن الله تعالي عن خمسة منها في هذا الكتاب، ثم أفرد للتنصير والاستشراق كتابا آخر.

المطلب الأول
الاستعمار (العسكري والثقافي)

توطئة

تعرض العالم العربي والإسلامي في العصر الحاضر للسيطرة الاستعمارية من قبل بعض الدول الغربية، وذلك تنفيذا لمعاهدة – بيكو – بين فرنسا وإنجلترا بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى، فأصبحت العراق وفلسطين خاضعة للاحتلال البريطاني، ودخلت الجيوش الفرنسية لبنان وسوريا، وكانت مصر تحت الاحتلال البريطاني منذ عام ١٨٣٠ م وفي المغرب العربي كانت الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي عام ١٨٣٠ م، وأيضا تونس عام ١٨٨١ م، والمغرب عام ١٩١٢ م، كما تعرضت ليبيا إلى احتلال إيطالي عام ١٩١١م (١).

تعريف الاستعمار:

ظاهرة سياسية اقتصادية وعسكرية ظهرت بظهور الإمبراطوريات منذ العصر القديم أشور وبابل وفارس.... وظهرت في أوربا في العصر الحديث بظهور القوميات، وحركة الكشوف الجغرافيا وقيام المذهب

(١) انظر الغزو الفكري للعالم الإسلامي / نبيل عبد الرحمن المحيش ص ١٤ نقلا عن العالم العربي الحديث د / جلال يحي ص ٥٤٣.

التجاري. متأثرة في أصولها الفكرية برواسب الفلسفة الأرسطية في العقلية الأوربية حيث نبرة استعلاء الجنس الآري وتميزه وأن من عداه فهو عبد، وله عقلية العبيد، وينبغي أن يعامل بما تعامل به البهائم، وعبر عن هذه النظرة الشاذة (رديارد كنج) في العصر الحديث بقوله: (إن غير الأوربي هو من السلالات الأدنى التي لا قبل لها بالقانون فكل من لم يكن أبيضا أو بريطانيا فهو في مرتبة أدنى)[١]

وتتجسد الظاهرة الاستعمارية في قدوم موجات متتالية من سكان البلدان الاستعمارية إلي المستعمرات قبل الاحتلال أو بعده بقصد الهيمنة علي الحياة الاقتصادية والثقافية، واستغلال ثروات البلاد، وترافق هذه الظاهرة حملات عسكرية. ويمكن القول: إن الاستعمار مر بمرحلتين:

المرحلة الأولى: الاستعمار الأوربي القديم:

وهي المرحلة التي تسمى بحركة الكشوف الجغرافيا التي تم شطر منها في القرن الخامس عشر الميلادي (لما تم رسميا إزالة الحكم الإسلامي - أي منذ ١٤٩٢م - شجع البابا النصارى على متابعة المسلمين خارج الأندلس. في حرب صليبية جديدة، بغية القضاء على الإسلام في كل الأرض. ولكن وجود الدولة العثمانية القوية في الشرق، التي أزالت الدولة البيزنطية باستيلائها على القسطنطينية عام ١٤٥٣م، لم يكن ينيح

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة ج ٢ ص ٩٦٣ مرجع سابق.

للحرب الصليبية الجديدة أن تتجه إلى الشرق نحو بيت المقدس كما اتجهت الحروب الصليبية الأولى الفاشلة، فحاولت الدوران حول العالم الإسلامي من جهة الغرب، وكانت البرتغال أول دولة استجابت للتحريض البابوي وسارعت إلى تنفيذه.) [١]

وكان لهذه الكشوف الجغرافيا هدفان:

الهدف الأول: تطويق العالم الإسلامي لإضعافه تمهيدا لضربه في الداخل.

الهدف الثاني: البحث عن طريق تجاري مع الهند لا يمر بديار المسلمين - طريق رأس الرجاء الصالح، وقد استفاد النصارى من علوم المسلمين الجغرافية والملاحية عن طريق جواسيس الكشوف الجغرافية من اليهود الذين كانوا يتقنون اللغة العربية، وكثير منهم حل بين المسلمين متظاهرا بالإسلام مما مكن لهم الحصول علي خرائط عربية عن المحيط الهندي، ومعلومات عن التيارات البحرية، والمواقع الجغرافية، والرياح الموسمية، فضلا عن معلومات عن التجارة الشرقية [٢].

---

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة الأستاذ محمد قطب ص ٥٦٧ـ٥٦٨ طبعة دار الشروق الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م . :

(٢) كان هذا الطريق معروفا للمسلمين قبل عدة قرون ! حيث كان لدى المسلمين خرائط دقيقة للشواطئ الآسيوية والأفريقية يستخدمونها في رحلاتهم التجارية من شواطئ الصين شرقا إلى بريطانيا غربا وشمالا. انظر المرجع السابق هامش صفحة ٥٦٨.

وكان من أشهر هذه الرحلات الاستكشافية رحلة (فاسكودي جاما) التي كانت صليبية المقصد، تتخفى وراء العلم والاستكشاف، فقد قال عقب رحلته عند وصوله إلى جذر الهند: (الآن طوقنا عنق الإسلام.. ولم يبق إلا جذب الحبل فيختنق فيموت)![1].

ويقول القائد البرتغالي (البوكرك): (كان هدفنا الوصول إلي الأراضي المقدسة للمسلمين.. واقتحام المسجد النبوي، وأخذ رفاه النبي محمد.. رهينة لنساوم عليه الرب من أجل استرداد القدس.. وكان هدفنا الثاني: احتلال جنوب مصر من أجل تغيير مجرى نهر النيل كي يصب في البحر الأحمر بدلا من مروره علي القاهرة في طريقه إلي البحر المتوسط، مما يضمن لنا خنق القلب الذي يقود الحرب ضدنا).

المرحلة الثانية: الاستعمار الأوربي الحديث:

كانت الثورة الصناعية وما تلاها من نشوء الرأسمالية ورسوخها في المجتمعات الغربية من أهم أسباب هذا الاستعمار، (لأن (أخلاق) الثورة الصناعية هي (الأخلاق) اليهودية - إن سميت هذه أخلاقا - أي السعي إلى الربح بكل وسيلة مشروعة أو غير مشروعة، ولم يكن غريبا أن تتخلق الثورة الصناعية بهذه الأخلاق الهابطة، مذ كانت خاضعة

(١) المرجع السابق ص ٥٦٨ .
(٢) المرجع السابق ص ٥٦٨ .

للسيطرة اليهودية منذ نشأتها) [١]

ومن ثم فقد احتاج الغربيون إلي المواد الخام، لتشغيل مصانعهم، وإلي السواق التي يصرفون فيها منتجاتهم.

فكان العالم الإسلامي هدفا من أهداف الاستعمار الذي لا يعد إلا فصلا من فصول الحملات الصليبية، يعبر عن ذلك (اللورد اللبني) بعد أن دخلت قواته فلسطين ١٣٣٧هـ / ١٩١٧ م حيث استولى علي بيت المقدس يقول: (الآن انتهت الحروب الصليبية)[٢].

والاستعمار الحديث يقوم علي أساس استغلال البلاد التي استعمروها، وتطويعها لإرادته، وزرع العملاء، ثم إعطاء الاستقلال دون استخدام أساليب الاستعمار التقليدية، من خلال ع اتفاقات ثنائية غير متكافئة تحد من حريات الدول وتكبلها، وتستغل مشكلاتها الاقتصادية والإدارية، للتدخل في شئونها والضغط عليها من خلال القروض والمعونات المشروطة، وإقامة القواعد العسكرية، وإثارة الإضرابات الداخلية سواء كانت طائفية أو عرقية أو إقليمية. وعلي ذلك فإن تسميته بالاستعمار مغالطة وتشويش علي المعني الحقيقي له، فالأولى تسميته: استعبادا

(١) المرجع السابق ص ٥٦٦.
(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام د / علي عبد الحليم ص ١٤٢ ط جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

لا استعمارا [١].

والعجيب أنه لا يعلن الرحيل إلا بعد ضمان الأتي:

١- حكم الدول المستعمرة من الخارج عن طريق العملاء.

٢- الاستحواذ علي ثرواتها ومقدراتها عن طريق تشغيل شركات المستعمر في أراضيها.

٣ - التبعية السياسية والثقافية للمستعمر [٢].

وفي هذا المقام يذكر الدكتور عبد الصبور مرزوق ما دار بينه وبين الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمة الله عليه حينما وقعت اتفاقية جلاء الإنجليز عن مصر بالأحرف الأولى - وكان ذلك في أكتوبر سنة ١٩٥٤م - يقول: فقلت له مهنئا: لنحمد الله أن المستعمرين الإنجليز سيخرجون من مصر، وهذا يتيح للعمل الإسلامي حرية وفاعلية.. فقال رحمة الله عليه: لقد وقعت الاتفاقية لإخراج الإنجليز الحمر، وهؤلاء خطرهم محدود.. لكن المهم هو أن يخرج من مصر (الإنجليز السمر). وكان رحمة الله عليه يعني بعض ذوي البشرة السمراء من الذين تأثروا تأثرا ثقافيا كاملا بالفكر الغربي، وبالنظريات التي صاغها المستشرقون، والمنصرون

(١) انظر: الموسوعة الميسرة ج ٢ ص ٩٦٣، وصفحات من الاستعمار علي موقع الإنترنت.

(٢) المرجع السابق ج٢ ص ٩٦٣ والغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ص ١٤٠ -١٤٣ و صفحات من الاستعمار علي موقع الإنترنت.

وفسروا بها الإسلام وفق هوائهم(١).

آثار الاستعمار:

نتج عن هذا الاستعمار آثار كثيرة، اقسمها إلي قسمين:

القسم الأول: آثار دينية:

منها ضعف الدعوة إلي الإسلام ونشره، وانتشار البدع والمنكرات، والجهل بأصول الإسلام، وضعف الالتزام بأحكام الشريعة، حتى صار الإسلام اسما فقط.

وقد سلك المستعمرون في سبيل تحقيق ذلك طرقا عدة منها:

١ - تقطيع العالم الإسلامي إلي دويلات -بالقضاء علي الخلافة العثمانية.

٢- تجفيف منابع العلم بأحكام الإسلام وشريعته، وإضعاف دور العلماء والدعاة.

٣- ممارسة التنصير وتبديل ثقافة الأمة بثقافة أخرى.

٤- تغيير اللسان العربي الذي في بقائه وحفظه حفظ للإسلام.

٥- نشر الفاحشة بين المسلمين، بإخراج المرأة سافرة، والأغاني والأفلام الخليعة.

---

(٢) الغزو الفكري د/ عبد الصبور مرزوق صـ ١٢ مرجع سابق.

٦- إحياء النعرات القومية.

القسم الثاني: آثار دنيوية منها:

١- تفريق الأمة الواحدة وضرب الحدود الاستعمارية بينها، والتحريش بين الجار والجار.

٢- اغتصاب الأرض الإسلامية مثل - الأندلس والبلقان وروسيا البيضاء، وأرض الجمهوريات الإسلامية، وجبل طارق وفلسطين وتيمور الشرقية وأخيرا يحاولون هذه الأيام في أفغانستان والعراق.

٣- تكريس تبعية نظم البلدان المستعمرة الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والاجتماعية للدول الاستعمارية العظمى.

٤- تغريب المواطن عن مشاكل شعبه فوق أن يفكر في مشاك أمته...

٥ - وجود مجتمعات خاصة (فصائل ثقافية أجنبية) ضمن المجتمع الإسلامي تهدد وحدة المجتمع، ووجود ممثل الإرساليات التنصيرية - والشبكات الماسونية)

٦- إقناع الشعوب الإسلامية بأن الخير في الاستعمار الثقافي، والاقتناع بتميز الرجل الأبيض عن سائر الشعوب الملونة.

وسائل المستعمر في غزوه الفكري:

استغل أصحاب الاستعمار ما يملكونه من قوة لدعم غزوهم الثقافي والفكري للعالم الإسلامي وانتهجوا في ذلك الوسائل التالية:

١ - عقد المؤتمرات الاستعمارية لدراسة أحوال العالم العربي: ووضع الخطط المناسبة لها، فكانت للاستعمار مؤتمراته وندواته وأجهزته ورجاله وأعوانه[١].

٢ - إحكام السيطرة علي وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقرءوة، وذلك عن طريق بث البرامج التي تخدم أهداف المستعمرين، ففي الصحافة: قام بتدريب وتعليم جهاز فني وإداري ومهني من أبناء البلاد الإسلامية يتولى مهمة التوجيه للحياة العامة في المجتمع، بمنهج غير إسلامي.

وبالنسبة للكتب: عمل علي التشجيع علي إصدار سلسلات فكرية في الأدب والاقتصاد غير الإسلامي وبالنسبة للتلفاز: يتم الغزو عن طريق إعداد برامج ومسلسلات أو عرض أفلام تبرز الصراع الطبقي أو الترف الاجتماعي، أو الفساد الخلقي، بطرق مبتكرة وأساليب حديثة [٢].

٣ - السيطرة علي التعليم: وجه المستعمرون (كل اهتمامهم إلي التعليم فأفسدوه، وفرضوا من خططهم ومناهجهم وأدواتهم

---

(١) انظر الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ص ١٤٣ بتصرف.

(٢) انظر الغزو الثقافي للأمة الإسلامي ماضيه وحاضره / منصور بن عبد العزيز الخريجي ص ١١٠ – ١١١ ط دار الصميعي للنشر والتوزيع. وانظر أخطار الغزو الفكري علي العالم الإسلامي بحوث حول العقائد الوافدة د / صابر طعيمة ٥١ –٥٢ ط / عالم الكتب

التعليمية ما يؤكد في نفوس المتعلمين احترام فكر الغرب وحضارة الغربيين وثقافتهم من جانب، وما يزري بالفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية من جانب آخر ورموا بهذا الشر كل المدارس والمعاهد وأماكن التعليم في العالم الإسلامي كله، وما استعصى عليهم وعلي خططهم مثل قليل من المعاهد والمدارس التي كانت تعني بدراسة علوم الإسلام كالأزهر الشريف في مصر، وكبعض المساجد التعليمية في قليل من بلدان العالم الإسلامي، إذ استطاعت هذه الأماكن – إلي حد كبير – أن تحافظ علي اهتمامها بدراسة العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية فكانت بذلك رمزا لتمسك الأمة بدينها ولغتها وتراثها [١].

كما عمل المستعمر علي نشر الأفكار الهدامة والساقطة، والنظريات الوجودية والفلسفات في الجامعات الإسلامية. وتشجيع تعلم اللغات الأجنبية وجعل ذلك شرطا للحصول علي بعض الوظائف، يقول الدكتور علي عبد الحليم: (وهذا التشجيع للغات الأجنبية ليس في حقيقته إلا تبعية فكرية ثقافية وتغريبا ضروريا لعدد من أبنائنا، وهو في الوقت نفسه حرب للغتنا وإحلال للغة أخرى محلها، وإهمال للغة القرآن الكريم، غير أن كلامنا هذا لا يعني أن نرفض تعليم اللغات الأجنبية في عالمنا الإسلامي، وإنما يعني أن تكون للعربية المكانة الأولى في

---

(١) الغزو الفكري د / علي عبد الحليم ص ١١٠ – ١١١.

العلمين العربي بالذات والإسلامي بعامة [1].

٤ - غرس الفرقة ومحاربة الوحدة:

لقد دأب الاستعمار وما زال يعمل علي تفريق العالم الإسلامي وتشتيته، وليس أدل علي ذلك من قيامهم بإسقاط الخلافة الإسلامية ثم تمزيق العالم الإسلامي والعربي إلى دويلات وبث عوامل الفرقة، والتحريش بين الجار والجار، كما عملوا علي إحياء نعرة القوميات كالفرعونية في مصر والآشورية في العراق والفينيقية في سوريا ولبنان.. (كما عملوا علي القضاء علي اللغة العربية الفصحى والدعوة إلي استخدام العامية واللهجات الإقليمية واستخدام اللاتينية بدل الأحرف العربية..) [2]

ويتحدث الدكتور/ علي عبد الحليم: عن عوامل تأثير اللغة في الوحدة بين الأمة: (وما يجهل عدونا قيمة اللغة في بعث كيان الأمة والنفخ في روحها، بل حملها علي التحرر والاستقلال، ما يجهل عونا ذلك ولا نجهله نحن فلنا وله علي ذلك من التاريخ الحديث شواهد وبراهين:

فالأمة التشيكية انبعثت حرة مستقلة عن طريق العناية بلغتها علي الرغم من محاولة الألمان والنمساويين، القضاء علي اللغة التشيكية...

---

(٢) المرجع السابق ص ١١٧.

(١) انظر المرجع السابق ص ١١٣.

وفي فرنسا قامت ضجة اجتمعت لها بعض المجالس النيابية واشتركت فيها الصحافة، حتى إن صحيفة (لموند) أقامت الدنيا وأقعدتها آنذاك، لأن كلمات أوربية غير فرنسية قد تسربت إلي اللغة الفرنسية، فخاف الفرنسيون من ذلك علي لغتهم أولا وعلي أمتهم الفرنسية ثانيا.

وفي ألمانيا – في عهد النازيين – أصر الألمان علي أن يضعوا كلمات ألمانية موضع بعض الكلمات اللاتينية اليونانية التي كانت مستعملة، وقد أكد (فيختة) كاتب ألمانيا المعروف: أن اللغة الأمنية قادرة علي رفع معنويات الأمة وإعادة وحدتها وتوتيط أركانها بعد أن كانت جيوش نابليون قد جعلت من ألمانيا ما يقرب من ثلاثين دولة.

تلك شواهد من التاريخ الحديث علي أهمية اللغة أي لغة في الأمة التي يتكلم بها، فما بالنا إذا كانت لغتنا العربية هي لغة القرآن الكريم أكمل دين وأشمل نظام؟.

العجيب حقا أن يمضي عونا في حرب لغتنا وإفساد لساننا ثم يجد أبناء اللغة العربية من يستجيبون له ويرددون باطله، فيكونون حربا علي لغتهم وأمتهم ودينهم[١].

٥ – العمل علي نشر الفساد والانحلال:

لعل من أخطر أنواع الغزو الذي يمارسه المستعمرون هدم الأخلاق

(١) الغزو الفكري د / علي عبد الحليم ص ١١٥ – ١١٦

الحميدة والمثل العليا وممارسة ما يفسد المجتمعات الإسلامية وقد سلكوا لتحقيق هذا الهدف طريقين هما:

أ – التضليل الفكري للشباب.

ب – إيجاد البيئة الفاسدة.

وقد عمدوا إلي استخدام عناصر الإفساد المؤثرة وهي المال والنساء والمسكرات والمخدرات ووسائل اللهو وجند المستعمرون (كل ما يستطيعون تجنيده لإفساد المجتمعات الإسلامية بهذه العناصر وسهلوا سبل فتح الدور التي تستدرج إليها طلاب اللذة المحرمة وعشاق المال الحرام، لقد عملوا حتى اشتروا بالمال أصحاب النفوس الضعيفة، وأخذوا يوجهونهم كما يريدون وعملوا علي نشر الرشوة والتشجيع علي اختلاس الأموال العامة ودعم الاحتكارات المحرمة والتغاضي عن الغش وتهريب المحظورات الدولية..) [1].

كما استغل المستعمرون النساء حيث استخدموا الساقطات منهن في التغرير بالشباب المسلم العربي، وبعد أن أوقعوهم في شرك النساء، تمكنوا من التلاعب بأفكارهم وأخلاقهم وسلوكهم، وقد أحكم هؤلاء (سياسة الغزو الخلقي والسلوكي للشعوب الإسلامية عن طريق الكوافر العواهر اللاتي تدفق سيلهن ففي معظم البلاد الإسلامية بأسماء وصفات شتى، علمية وفنية وتجارية وصناعية

(١) أجنحة المكر الثلاثة / عبد الرحمن حبنكة ص ٣٤٨.

وامتزجن بالأسر الإسلامية وسهلن سبل الفاحشة للمراهقين في أعمارهم... كما دعا المستعمرون إلي الاختلاط، وتبرج المرأة وعريها في الشواطئ وفي الفنادق ووسائل الإعلام.. وانتشرت بعد ذلك المسكرات والمخدرات، وكان للمستعمرين نصيب واسع في نشرها.. فكانوا يشجعون علي إدمانها لكسب الأموال ولإماتة روح المقاومة في نفوس الناس [(١)].

ومن جهة أخرى فقد وضع المستعمرون الخطط المحكمة لإفساد الأجيال الناشئة من الفتيان والفتيات حيث عملوا علي توفير أدوات الترف التي تشغل الشباب في أوقاتهم عن الاهتمام بأمور الأمة وتقدمها (وقد أدرك أعداء المسلمين أن الترف والرفاهية والانغماس في اللذات أمور تسبب البطر وتوقف كل تقدم علمي وإنتاج صحيح، وتصيب الأمة بانهيار خلقي وسلوكي يؤدي بها إلي الضعف والهوان، فوضعوا خططهم من أجل إغراق الذين بسط الله لهم في الرزق من المسلمين في أنواع الترف والرفاهية المحرمة، ودفعوا لهم وسائل الترف المشروعة وغير المشروعة) [(٢)].

٦ - تشجيع المذاهب والحركات الباطلة:

عمد المستعمرون علي تشجيع المذاهب والحركات الباطلة

---

(١) المرجع السابق ص ٣٥١ بتصرف

(٢) انظر أجنحة المكر الثلاثة ص ٣٧٨.

والمشبوهة، والتي تتوافق مع أهداف المستعمرين، ولا تشكل خطرا عليه مثل البهائية والقاديانية وأمثال تلك الدعوات التي تدعو إلي ترك الجهاد، والتعايش السلمي مع المستعمر[١].

كما عمل المستعمر علي تشجيع وإنشاء النوادي الماسونية كالليونز والروتاري وهي تنشر فكر المستعمر وتدعم خططه ومن خلال ما ذكر من وسائل استطاع هؤلاء المستعمرون أن يغزوا العالم الإسلامي في فكره وثقافته.

* * *

(٨٦) انظر في تفصيل ذلك الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د / محمد البهي ٤٣ – ٤٧ ط/ دار الفكر بيروت ١٩٧٠م.

المطلب الثاني

العلمـــــــــانية

من أخطر ما ابتلت به أمة الإسلام، وخاصة بين قطاعات المهن التي اقتضت نوعا من الاحتكاك بالفكر الغربي، فهذه طريقة من طرق الغزو الفكري لها خطورتها علي العالم الإسلامي منذ أن صدرت إليه في بداية القرن العشرين، وهذه نظرات سريعة في التعرف عليها.

١- التحديد اللغوي للعلمانية:

لم يوجد لفظ العلمانية في معاجم اللغة العربية قديما، وإن كان قد وجد في كتب المعاجم العربية الحديثة ومن ذلك:

(العلماني: العامي الذي ليس بإكليريكي)[١].

فالعلمانية مشتقة من العلم – بفتح العين وتسكين اللام بمعنى العالم أو الدنيا.

والعلماني – بفتح العين – هو خلاف الديني أو الكهنوتي[١].

(١) معجم المعلم بطرس البستاني ، والكيرس أو الإكليرس : جماعة مفرزون ومكرّسون لخدمة الكنيسة مثل الأساقفة والقساوسة والشماسة ويقابلهم العلمانيون ، ومعنى كليرس اليونانية : قرعة لأنهم كانوا قديما ينتخبون بالقرعة انظر : جذور العلمانية د/ السيد أحمد فرج ص ١٥٤. طبعة دار الوفاء المنصورة الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

وهي غير العلمانية -بكسر العين - أو العلمية المشتقة من العلم - بكسر العين[٢].

وورد في معجم المعلم البستاني: (العلماني: العمي الذي ليس بإكليريكي) ولعل المعنى الصواب لترجمة كلمة العلمانية هي (اللادينية) أو (الدنيوية)[٣] وليس المراد ما يقابل الأخروية فحسب، بل المراد ما لا صلة له بالدين. وهذا ما تجليه وتؤكده دوائر المعارف الأجنبية.

٢- التحديد المفاهيمي للعلمانية:

والعلمانية تعني فصل الدين أو إبعاده عن الدولة، وقيام الدولة علي أسس دنيوية لا دينية، تتمثل هذه الأسس في العلم الوضعي، والعقل، ومراعاة المصلحة العامة في مختلف شئون الدولة وهي (تعود إلى الأصل الأجنبي فإن دائرة المعارف البريطانية تقول في مادة (Secularism): (هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيهم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها) [٤].

---

(١) المعجم الوسيط ج ٢ / ٦٢٤ ((مجمع اللغة العربية)) مطبعة مصر.
(٢) معجم العلوم الاجتماعية – نخبة من العلماء المصرين والعرب ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب س ١٩٥٧ م وانظر الإسلام والعلمانية وجها لوجه د / يوسف القرضاوي ص ٥١ ط / مكتبة وهبة ٠
(٣) جذور العلمانية المرجع السابق ص ١٥١.
(٤) انظر مذاهب فكرية معاصرة الأستاذ / محمد قطب ص ٤٤٥ ط / دار الشروق بيروت الطبعة الثانية س ١٤٠٧ ه / ١٩٨٧ م.

وتقول دائرة المعارف الأمريكية: (الدنيوية هي نظام أخلاقي أسس علي نظام الأخلاق الطبيعية ومستقل عن الديانات السماوية أو القوى الخارقة للطبيعة...)[١] والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو فصل الدين عن الدولة. وهو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق علي الأفراد وعلي السلوك والذي قد لا يكون له صلة بالدولة) [٢]

العلمانية في الاصطلاح:

(هي دعوة إلي إقامة علي غير الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم والمذهب العلمي)[٣].. ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الأخر، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ(Secularism) تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية وبإمكانية تحقيق مطامحهم في هذه الدنيا القريبة.

---

(١) انظر الاتجاهات الفكرية المعاصرة د / علي جريشة ص ٨٥ ط دار الوفاء للطباعة المنصورة ط / أولي س ١٤٠٧ ه / ١٩٨٧ م

(٢) العلمانية لسفر الحوالي ص ٢٣. وانظر : مذاهب فكرية معاصرة أ / محمد قطب ص ٤٤٥.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ج ٢ ص ٦٨٩.

وظل الاتجاه إلى الـ (Secularism) يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية[١].

ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فان سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما.

وإن كانت العلمانية تتفق -كما زعم النصارى- مع الديانة النصرانية في فصل الدين عن الدولة حيث لقيصر سلطة الدولة ولله سلطة الكنيسة وهذا واضح فيما ينسب للسيد المسيح من قوله: (إعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله). أما الإسلام فلا يعرف هذه الثنائية والمسلم كله لله وحياته كلها لله ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

ومما تقدم ذكره يعني أمرين:

أولهما: أن العلمانية مذهب من المذاهب اللادينية، التي ترمي إلى عزل الدين عن التأثير في الدنيا، فهو مذهب يعمل على قيادة الدنيا في جميع النواحي السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأخلاقية،

---

(١) انظر العلمانية د/ سفر الحوالي ص ٢٣-٢٤ . وانظر : مذاهب فكرية معاصرة أ / محمد قطب ص ٤٤٥.

والقانونية، وغيرها، بعيدًا عن أوامر الدين ونواهيه.

ثانيهما: أنه لا علاقة للعلمانية بالعلم- كما يحاول بعض المراوغين أن يلبس على الناس، بأن المراد بالعلمانية: هو الحرص على العلم التجريبي والاهتمام به، فقد تبين كذب هذا الزعم وتلبيسه بما ذكر من معاني هذه الكلمة في البيئة التي نشأت فيها-. ولهذا، لو قيل عن هذه الكلمة: «العلمانية» إنها:«اللادينية»؛ لكان ذلك أدق تعبيرًا وأصدق وكان في الوقت نفسه أبعد عن التلبيس، وأوضح في المدلول.

مراحل العلمانية:

إن العلمانية مرت في أوربا بمراحل أبرزها مرحلتان:

المرحلة الأولى: مرحلة العلمانية المعتدلة.

وكانت هذه المرحلة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وفي هذه المرحلة وإن اعتبر الدين أمرا شخصيا – لا شأن للدولة به إلا أن علي الدولة – مع ذلك – أن تحمي الكنيسة، وبالأخص في جباية ضرائبها.

والتفكير العلماني في هذه المرحلة وإن طالب بتأكيد الفصل بين الدولة وبين الكنيسة إلا أنه لم يسلب المسيحية كدين من كل قيمة لها. وإن كان ينكر فيها بعض تعاليمها، ويطالب بإخضاع تعاليم المسيحية إلي العقل، وإلي مبادئ الطبيعة مما نشأ عنه المذهب المعروف باسم مذهب الربوبيين، وهو مذهب يعترف بوجود الله كأصل للعالم، ولكنه ينكر الإعجاز والوحي وتدخل الله في العالم.

ومن دعاة هذه المرحلة: فولتير (١٦٩٤ - ١٧١٣ م) في فرنسا، وشفتسيري (١٦٧١- ١٧١٣ م) في انجلترا، وليسنج (١٧٢٩ - ١٧٨١م) في ألمانيا، والفيلسوف الإنجليزي جون لوك (١٦٣٢- ١٧١٤م)، وهويز (١٥٨٨- ١٦٧٩م)، وديكارت، وبيكون، وسبينوزا، وجان جاك روسو، وأضرابهم[1].

المرحلة الثانية:

وبدأت هذه المرحلة في القرن التاسع الهجري وما بعده، وتسمى مرحلة العهد المادي، أو الثورة العلمانية، وقامت هذه المرحلة علي إلغاء الدين - أي دين إلغاء كليا وعدم الإيمان بالأمور الغيبية - وليس فصلا بينه وبين الدولة كما هو المفهوم في المرحلة الأولى، واعتبار أن الموجود الحقيقي هو المحسوس فقط، والدافع عليها هو الاستئثار بالسلطة، ولذلك كانت العلمانية غير مساوية لمفهوم الفصل بين الكنيسة والدولة، بل كانت إلغاء للدين كمقدمة ضرورية إلي السلطة المنفردة التي هي سلطة جماعة العمل أو المجتمع أو الدولة أو الحزب حسب تحديد بعض هؤلاء الشيوعيين اليساريين. ومن دعاة هذه المرحلة هيجيل وفيرباخ

---

(١) انظر الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها د/ جمعة الخولي ص ٩٢ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ مطابع الجامعة الإسلامية المدينة المنورة. والموسوعة الميسرة جـ ٢ صـ ٦٨٩ـ ٦٩٠.

وكارل ماركس وأضرابهم [١]

نشأة العلمانية:

نشأت العلمانية وانتشرت في أوربا وعمت أقطار العالم بحكم النفوذ الغربي والتغلغل الشيوعي. وصار لها نفوذ سياسي مع ميلاد الثورة الفرنسية.

ومن ثم فقد كان الغرب النصراني في ظروفه الدينية المتردية هو البيئة التي نبتت فيها شجرة العلمانية، وقد كانت فرنسا بعد ثورتها المشهورة هي أول دولة تُقيم نظامها على أسس الفكر العلماني، ولم يكن هذا الذي حدث من ظهور الفكر العلماني والتقيد به - بما يتضمنه من إلحاد، وإبعاد للدين عن كافة مجالات الحياة، بالإضافة إلى بغض الدين ومعاداته، ومعاداة أهله - لم يكن هذا حدثًا غريبًا في بابه، ذلك لأن الدين عندهم حينئذ لم يكن يمثل وحي الله الخالص الذي أوحاه إلى عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام -، وإنما تدخلت فيه أيدي التحريف والتزييف، فبدلت وغيرت وأضافت وحذفت وقد عمت العلمانية أوربا في القرن التاسع عشر لتشمل معظم دول

---

(١) انظر الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها د/ جمعة الخولي ص ٩٢ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ مطابع الجامعة الإسلامية المدينة المنورة. والموسوعة الميسرة جـ ٢ صـ ٦٨٩ـ ٦٩٠ وما بعدها. وانظر : مذاهب فكرية معاصرة أ محمد قطب صـ ٤٤٥ وما بعدها

العالم في السياسة والحكم في القرن العشرين [١].

أسباب نشأت العلمانية:

أولا: الطغيان الكنسي:

لم تكتفِ الكنيسة - الممثلة للدين عندهم - بما عملته أيدي قسيسيها ورهبانها من التحريف والتبديل، حتى جعلت ذلك دينًا يجب الالتزام والتقيد به،فقد ورث رجال الكنيسة عن أحبار اليهود صفاتهم الممقوتة من التعصب الأعمى واتباع الهوى واحتكار الرأي، فظلت مصادر الدين الكنسي حكرا عليهم.

وقد ترتب علي ذلك ما ارتكبه رجال الدين من أخطاء وليس الدين نفسه ويتمثل ذلك في:

١- الحجر علي العقول وتكبيل كل إبداع فكري وكل كشف علمي.

إن رجال الكنيسة مارسوا لونا آخر من الطغيان غير الطغيان الروحي.. مارسته الكنيسة لا علي أرواح الناس هذه المرة ولكن علي عقولهم وأفكارهم، حين فرضت عليهم هذه الأسرار فرضا ومنعتهم من مناقشتها، واعتبرت المناقش فيها أو الشاك في أمرها كافرا مهرطقا[٢]

---

(١) وانظر : مذاهب فكرية معاصرة أ محمد قطب صـ ٤٤٥ وما بعدها

(٢) والهرطقة كما فهمتها الكنيسة إذ ذاك ـ هي : مخالفة رأي الكنيسة ، فرأي يراه عالم في العلوم الكونية هرطقة ، ومحاولة فهم الكتاب المقدس لرجل غير كنسي هرطقة. انظر: المسيحية د/ أحمد شلبي صـ ٢٥٦ ط/ مكتبة النهضة المصرية القاهرة.

وجبت عليه اللعنة الأبدية، وخرج من رضوان البابوية فخرج - من ثم - من رضوان الله.

ولم يكن للناس بد تحت هذا التهديد الطاغي ممن في أيديهم - وحدهم - الوساطة بين الله وعباده - كما يزعمون - أن يسلموا تسليما أعمى بأسطورة التثليث وأسطورة العشاء الرباني وأسطورة الأب الذي صلب ولده فداء لخطيئة آدم.. وغيرها من الأساطير المفروضة عليهم، لكي يأمنوا غضب الوسطاء، المؤدي - في وهمهم - إلي غضب الله، وأن يلتزموا بهذا الحجر البشع علي العقول ولكن.. هل كان من الممكن أن يستمر ذلك إلي الأبد دون أن تتمرد العقول المكبوتة وتدعوا إلي حرية التفكير؟! [١]

٢- الحجر علي القلوب المتمثل في صكوك الغفران، وقرارات الحرمان، ومحاكم التفتيش والسجون.

لم يكف الكنيسة ورجال دينها هذا الفساد كله، فأضافوا إليه مهزلة من أكبر مهازل التاريخ. تلك هي مهزلة صكوك الغفران... ومع أنها مهزلة مضحكة - ومكشوفة - فقد ظلت قائمة في المجتمع الأوربي -

---

(١) انظر : مذاهب فكرية معاصرة أ/ محمد قطب صـ ٣٣ـ ٤٠ بتصرف. وانظر: محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ١٣٥ ط / دار الفكر العربي ط/ ٣ ١٣٨١ هـ. والعلمانية د/ سفر ص٣٦. والمسيحية د/ أحمد شلبي ص ١١٠. وكواشف زيوف لعبد الرحمن الميداني ص ٢٣ ط / دار القلم طبعة أولى ١٤١٢هـ ١٩٨٥م .

مجتمع الظلمات - فترة غير قصيرة من الوقت، واتسع نطاقها وكثرت أرباحها حتى فاضت عن مطامع قداسة البابا، فتنازل عن شيء من الفائض لكبار أعوانه، فصرح لهم بإصدار صكوك لحسابهم، استرضاء لهم، واستعانة منه بهم في (جلائل الأعمال)!

ولكنها كانت لابد مؤدية إلي نتائجها الطبيعية، وهي النفور من الدين في النهاية والنفور من رجال الدين [١].

ومن ناحية أخرى كانت محاكم التفتيش وما صاحبها من الفظائع عميقة الأثر في الحس الأوربي، وسيئة النتائج بالنسبة للحضارة الجاهلية التي انبثقت في أوربا منذ عهد النهضة.. لقد أصبح عداء الدين المتمثل هناك في الكنيسة ورجالها أمرا (لازما) لكل صاحب فكر حر أو ضمير حي.. لأن هذا العداء هو أبسط تعبير عن الثورة ضد الذل والمهانة التي تفرضها الكنيسة علي الكرامة الإنسانية كما تفرضها علي العقل الذي خلقه الله ليفكر لا ليمتهن بالحبس في داخل سدود وقيود ما أنزل الله بها من سلطان [٢].

٣ - تحالف الكنيسة مع الظالمين للشعب.

فإن الكنيسة - الممثلة للدين عند النصارى - أقامت تحالفًا غير

---

(١) انظر : مذاهب فكرية معاصرة أ محمد قطب ص ٦٣- ٦٦ بتصرف. وانظر : محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ٢٠٣. والمسيحية د/ أحمد شلبي ص ٢٥٥. ومعالم تاريخ الإنسانية ج٣/ ص ٨٩٦. هـ. ج. ولز. ت : عبد العزيز جاويد ، القاهرة ط/ أولى ١٩٥٠م.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة ص ٦٩ مرجع سابق.

شريف مع الحكام الظالمين، وأسبغت عليهم هالاتٍ من التقديس، والعصمة، وسوَّغت لهم كل ما يأتون به من جرائـم وفظائع في حـق شعوبهم، زاعمـة أن هذا هو الدين الذي ينبغي على الجميع الرضوخ له والرضا به.

يقول صاحب كتاب قصة الحضارة: (أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضي وأكبر السادة الإقطاعيين في أوربا.... وكان الملك هو الذي يعين رؤساء الأساقفة والأديرة... وكانوا يقسمون يمين الولاء لغيرهم من الملاك الإقطاعيين.. وهكذا أصبحت الكنيسة جزءا من النظام الإقطاعي.) [1]

ومن ثم فقد تحدد موقفها من قضايا السياسة والاقتصاد والاجتماع، حيث حالفت مع الظالمين للشعب وساندتهم، وأخذت تذود عنهم وتحارب حركات الإصلاح! وكانت في ذلك منطقية باعتبارها من كبار الملاك!

فهل يعقل أن تحارب الإقطاع وهي جزء منه، بل من أكبر ممثليه؟!

٤ – تحريف المسيحية [2].

---

(١) انظر : قصة الحضارة / ديورانت ج١٤ ص٤٢٥ ترجمة محمد بدران. نشر الإدارة العربية في جامعة الدول العربية ، مطابع الدجوي القاهرة.

(٢) راجع في تفصيل هذا (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) موريس بوكاي دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ط / دار المعارف س ١٩٧٩ م. وانظر : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام د / علي جريشة ص ٣٠٥ – ٣٠٦ ط / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م

لم تعرف أوربا قط دين الله المنزل علي حقيقته الربانية.

إنما عرفت صورة محرفة من صنع الكنيسة الأوربية لا صلة لها بالأصل المنزل. الذي أرسل المسيح مبلغا لبني إسرائيل قال تعالى ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُم﴾ [آل عمران: من الآية٤٩] وإنما ظلت الجماهير الأوربية تستقي دينها من رجال الدين من البابوات والكرادلة. ومن شراح الأناجيل المحرفة، والمجامع، وتعتبرهم مرجعا لا يرقى إليه شك أو ارتياب، ولا يجوز أن يناقش!

يقول درابر الأمريكي في كتابه الدين والعلم: (ودخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة، ومناصب عالية في الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية. ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين. ولم يخلصوا له يوما من الأيام.. وكذلك كان قسطنطين.. فقد قضى عمره في الظلم والفجور، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية إلا قليلا في آخر عمره س-نة ٣٣٧م[١]).

وإن دينا بهذه الصورة لا يمكن أن يكون صالحا للحياة. إذ كيف يصلح دينا قد شوهت العقيدة فيه، وفصلت شريعته عن عقيدته، وانحصرت في أضيق نطاق.

٥- اضطهاد الأقليات الطائفية، المتمثل في حروب الكاثوليك

---

(١) مقدمة كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين الشيخ الندوي الطبعة العاشرة ١٣٩٣هـ دار القلم بالكويت.

والبروتستانت، والمتمثل أيضا في اضطهاد اليهود من قبل الدول الأوربية ككل، ومن يقظة الحركة اليهودية، وذلك لأن إبعاد الدين عن المجتمع الغربي يعني إبعاد المسيحية، وقيام الدولة علي مفهوم القومية، وهذا يعني السماح لكل الأديان بالعيش في وطن واحد، مما يستلزم مشروعية الوجود اليهودي، لهذا فقد زكى اليهود وساعدوا كل حركات البعد عن(دينية الدولة) أو (الطابع الديني للدولة) وبعد نجاح عصر التنوير دخل اليهود المجتمع من أوسع أبوابه[١].

ثانيا: الصراع بين الكنيسة والعلم:

كان من نتيجة تعارض الدين المُبدَّل المحرف، ذاك الصراع بين الكنيسة والعلم الذي أدى إلي مشكلة من أعمق مشكلات التاريخ الفكري الأوربي إن لم تكن أعقدها علي الإطلاق. ذلك أن الكنيسة هاجمت العلماء الذين قالوا بكروية الأرض وهددتهم بالحرق أحياء في الأفران.. وقد حدث هذا بعدما عاد من احتك من الغربيين بالإسلام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، سواء عن طريق تلقيهم العلم في الأندلس وقرطبة، وشمال أفريقيا وغيرها، أو عن طريق الحروب الصليبية، وقد تأثروا بنور الإسلام، وعرفوا أن الكنيسة ورجالها عملة

---

(١) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي د / علي جريشة ومحمد شريف الزيبق ص ٣٧ ط / دار الاعتصام س ١٩٧٩ م. وانظر : مكايد يهودية عبر التاريخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٤٤ الطبعة الثالثة ط/ دار القلم دمشق بيروت.

مزيفة، أخذ هؤلاء في مقاومة الكنيسة ودينها المزيف، وأعلنوا كشوفاتهم الجغرافية والعلمية، والعلوم الطبيعية التي تحرمها الكنيسة، فكان رد الفعل هو تكفير هؤلاء العلماء، وتقتيلهم، وإحراقهم وتشريد المكتشفين، وأنشأت الكنيسة محاكم التفتيش لملاحقة حملة الأفكار المخالفة لآرائها وأفكارها.

وأمست الكنيسة واقفة ضد العلم، ومهيمنة على الفكر، ومشكلة لمحاكم التفتيش، ومتهمة العلماء بالهرطقة، ومن هؤلاء العلماء:

١ - برنيكوس: نشر عام ١٥٤٣م كتاب حركات الأجرام السماوية وقد حرمت الكنيسة هذا الكتاب.

٢- جرادانو: صنع التلسكوب فعذب عذاباً شديداً وعمره سبعون سنة وتوفي سنة ١٦٤٢م.

٣- سبينوزا: صاحب مدرسة النقد التاريخي وقد كان مصيره الموت مسلولاً.

٤ - جون لوك: طالب بإخضاع الوحي للعقل عند التعارض. ومن ثم كان ظهور مبدأ العقل والطبيعة: فقد اخذ العلمانيون يدعون إلى تحرر العقل وإضفاء صفات الإله على الطبيعة [١].

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في : الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة / ناصر القفاري وزميله ط/ ١ س ١٤١٣هـ ١٩٩٢م دار الصميعي للنشر بالرياض. ومذاهب فكرية معاصرة ص ٥١٢.

وبما أن الدين بصبغته الإلهية النقية لم يدخل المعركة، فإن الأولى أن نسمي ما حدث في أوربا صراعا بين الكنيسة والعلم، وليس بين الدين والعلم أو بين رجال الدين والعلماء[1].

واستمر هذا الصراع مع مصالح الناس في دنياهم ومعاملاتهم، و في الوقت نفسه تعارضه مع حقائق العلم الثابتة عدة قرون، وحيث لم تكتفِ الكنيسة - الممثلة للدين عندهم - بما عملته أيدي قسيسيها ورهبانها من التحريف والتبديل، حتى جعلت ذلك دينًا يجب الالتزام والتقيد به، وحاكمت إليه العلماء المكتشفين، والمخترعين، وعاقبتهم على اكتشافاتهم العلمية المناقضة للدين الكنسي المبدل، فاتهمت بالزندقة والإلحاد، فقتلت من قتلت، وحرَّقت من حرَّقت، وسجنت من سجنت.

ومن ثم فقد ارتكبت الكنيسة خطأين فادحين في آن واحد:

١- تحريف حقائق الوحي اللاهي وخلطها بكلام البشر.

٢- فرض الوصاية الطاغية علي ما ليس داخلا في دائرة اختصاصها. وتوهمت الكنيسة أن في قدرتها أن تملك الحقيقة العلمية وتحتكرها، وانتهى هذا الصراع بإبعاد الكنيسة ورجالها عن التدخل في

---

(١) انظر الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد خالد محمد علي الحاج (٢/ ٢٩٣). دولة قطر ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

أنظمة الدولة وشئون الحياة.

ثالثا: الثورة الفرنسية:

في الفترة التي كان فيها الشرق المسلم في ظل أفضل وأعدل مجتمع عرفه التاريخ، كان الغرب النصراني يرزح تحت ظلم النظام الإقطاع البغيض. وتربط أولى محاولات الإنسان الأوربي الانفلات من المظالم الإقطاعية بالاحتكاك المباشر بالمسلمين عن طريق الفتوحات الإسلامية في أوربا، وبلغ ذلك ذروته إبان الحروب الصليبية.

ثم حدثت الثورة الفرنسية وانتصر فيها الشعب علي الطبقتين المحتكرتين (رجال الدين والأشراف) وولدت لأول مرة في أوربا النصرانية دولة جمهورية لادينية، تقوم فلسفتها علي الحكم باسم الشرع وعلي دستور وضعي بدلا من قرارات الكنيسة [(١)].

ومن ثم بدأ الناس هناك يبحثون عن مهرب لهم من سجن الكنيسة ومن طغيانها، ولم يكن مخرجهم الذي اختاروه إذ ذاك، إلا الخروج على ذلك الدين الكنسي- الذي يحارب العلم ويناصر المجرمين - والتمرد عليه، وإبعاده وطرده، من كافـة جوانب الحياة السياسية، والاقتصادية، والعلمية، والأخلاقية، وغيرها.

وفعلا قامت الثورة الكبرى عام ١٧٨٩م واستطاع اليهود أن يجنوا

---

(١) العلمانية د/ سفر الحوالي ص ١٦٩. وانظر : مكايد يهودية عبر التاريخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٤٤وما بعدها

ثمرات عملهم علي حساب آلام الشعوب، والدماء التي أهرقت من جرائها، واستطاعوا أن يظلوا في الخفاء بعيدا عن الأضواء، وأن يزوروا كثيرا من الحقائق التاريخية؛ لستر مكايدهم وغاياتهم، والدليل علي أن من كان وراء هذه الثورة اليهود ما جاء في البرتوكول الثالث: (تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها - الكبرى - إن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا جيدا لأنها من صنع أيدينا، ونحن من ذلك الحين نقود الأمم قدما خيبة إلي خيبة) (١)

ومن ثم ولدت لأول مرة في تاريخ أوربا النصرانية دولة جمهورية، لادينية، تقوم قواعدها علي الحكم باسم الشعب - وليس باسم الله - وعلي حرية التدين بدلا من الكثلكة - أي أتباع الكنيسة الكاثوليكية - وعلي الحرية الشخصية بدلا من التقيد بالأخلاق الدينية، وعلي دستور وضعي بدلا من قرارات الكنيسة. (٢)

رابعًا: طبيعة التعاليم النصرانية:

إضافة إلي ما سبق ذكره فإن البحث المدقق في هذه الفترة يصل إلي حقيقة واضحة، ألا وهي: تحول التعاليم اليهودية إلي طقوس جامدة لا حياة فيها، واتجاهها في جوهرها للتزهد، واحتقارها للدنيا، وتجردها من عالم المادة. ومن نماذج ذلك ما جاء في الأناجيل مثل:

---

(١) انظر : الخطر اليهودي برتوكولات حكماء صهيون / محمد خليفة التونسي ص ١٧٤ ط/ دار التراث.

(٢) انظر: الموجز في الأديان ص٧٦ وكواشف زيوف ص٢٩

(سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر. بل من لطمك علي خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين.... أحبوا أعدائكم باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلي مبغضكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم)[1]

لقد نظر الغرب الأوربي إلي هذه التعاليم الموغلة في السماحة فوجدها بعيدة عن واقع العصر وظروف الحياة.

فمثل هذه التعاليم المحرفة لا تصلح توجيها عاما لكل الناس ذلك أن مطالبة الإنسان بمحبة عدوه ومباركة لاعنيه قد لا تطيقه بعض النفوس، كما لا تحتمل السكوت علي الضرب. ثم إن في ترك المعتدي تشجيع له علي المضي في سلوكه إلي آخر المدى، أما المنهج الإسلامي القويم الوسط، فقد جاء بالنسبة للنظرة إلي الحياة الدنيا والآخرة، بالجمع بين الحياتين وطلب العناية بهما معا - وإن وجه إلي تغليب العمل للباقية منهما قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: من الآية٧٧].

---

(١) انظر : انجيل متى (٥/ ٣٨ ـ ٤٤) وانجيل لوقا (٦/ ٢٧ ـ ٣٠) الكتاب المقدس. دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .

وأما بالنسبة إلي عقوبة المعتدي فقد شرع مقابلة السيئة بمثلها ردعا للظلم، وكسرا لشوكته، ثم حث علي العفو والصفح عن المسيء؛ لأن الناس متفاوتون في طباعهم، فمنهم اللين المتسامح، ومنهم الشديد الصعب، فشرع الله في ديننا الحنيف لهذا وذاك، قال تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى:٤٠] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦].

ولذلك كان التشريع الإسلامي تشريعا مناسبا في كل عصر ومصر ولله الحمد والمنة.

هذه هي أبرز أسباب ظهور العلمانية التي عمت أوربا في القرن التاسع عشر، وبدأت تنتشر في غيرها من العالم.

الجذور الفكرية للعلمانية:

١- بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً. ويهملون أمور الغيب، من بعث وثواب وعقاب وغير ذلك، ويعضهم يفصل بين وجود الله سبحانه، وبين تأثيره في الحياة [1]

ومثل هذا الإلحاد ينشأ عنه مجتمع غايته متع الحياة وملذاتها، وقد وصف الله تعالى من كان كذلك بقوله تعالى: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها ص٩١.

تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾ [محمد: من الآية١٢].

ولذلك فإن قبول العلمانية في أي مجتمع يودي به إلي المروق من الدين، والتحلل من الأخلاق.

٢- إقامة حاجز بين عالمي الروح والمادة والقيم الروحية لديهم قيم سلبية، وإقامة الحياة علي أساس مادي.

والعلمانيون بذلك يفرضون علي المرء قوانين لا تناسب تكوينه الذاتي، ولا تلائم فطرته، القائمة علي التوازن الدقيق بين المادية والروحية، فإنها تتعرض دائما للتمرد والعصيان، الأمر الذي يدفعها دائما إلي إعادة النظر في قوانينها ونظمها وتغيير مناهجها، وذلك من أجل تقبل الناس لها ومحاولة للتوازن والتوافق(١).

٣ - فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي.

وهم بذلك فتحوا المجال للانتماءات الطبقية والوضعية والقومية والمذهبية وغيرها.

والهدف من وراء هذا الفصل هو هدم العقيدة الصحيحة، وإخراج الناس من نور الإيمان إلي ظلام الكفر والإلحاد، وإحلال النظم الوضعية محل النظم الإلهية .

---

(١) انظر العلمانية المنشأ والأثر في الشرق والغرب / زكريا فايد ص١٣٣ ط/ ١ ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م ط/ الزهراء للأعلام العربي.

٤ - تطبيق مبدأ النفعية (البراجماتية) [(١)] على كل شيء في الحياة.

البراجماتية تقوم علي إنكار ألوهيته سبحانه بل وإنكار وجوده، وتنكر الدين والأخلاق، وتجعل المنفعة المادية العاجلة وحدها المسيطرة علي هذا المذهب، وهي أساس أي عمل أو فكرة، وتجعل مصلحة الإنسان لنفسه فوق مصالح الآخرين حتى ولو أضر بهم [(٢)].

وهذا علي نقيض ما جاء به الإسلام، حيث كفل الخير والصلاح لكل الناس، بل إن المصالح والمنافع في ديننا الحنيف يسودها المحبة والتعاون والإيثار، وابتغاء المثوبة والأجر من الله تعالى، والنصوص القرآنية والنبوية في ذلك كثيرة ومنها: قول الله تعالى ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: من الآية١٩٥] وقوله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء:١١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ

---

(١) مذهب البراجماتية يقيس القضية بنتائجه العملية ، ويرى أتباعها أن قيمة المعتقدات والقيم الخلقية نابعة من أثرها ، فما حقق منفعة للإنسان ، فهو خير وصحيح ، والعكس بالعكس ، ومن أبرز روادها : تشارلس بيرس (١٨٣٩ ـ ١٩١٤م) جون ديوي (١٨٥٦ ـ ١٩٥٢م) شيلر (١٨٦٤ ـ ١٩٣٧م). انظر :الموسوعة الميسرة ج٢ ص(٨٤٢ـ ٨٤٣). العصرانية في حياتنا الاجتماعية د/ عبد الرحمن الزنيدي ص ٥٠ ، دار المسلم الرياض ط/ ١ ، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م.

(٢) انظر : الموسوعة العربية الميسرة ج١ ص ٣٣٥.

وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: من الآية٢] وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: من الآية٢٧٢].

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**كل سلامى من الناس صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس قال ابن أبي السري عليه الشمس قال يعدل بين اثنين صدقة ويعين الرجل في دابته ويحمل عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة ويميط الأذى عن الطريق صدقة**» [رواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق] [(١)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» [(٢)]

---

(١) المسند المستدرك على صحيح الإمام مسلم للنيسابوري باب الصدقة ووجوبها حديث رقم ٢٢٦٠ ط/ دار الكتب العلمية بيروت س ١٤١١هـ ١٩٩٠م وفتح الباري شرح صحيح البخاري ج٢ ص ٣٠٨ ط / دار المعرفة بيروت س١٣٧٩هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب وشرح النووي على صحيح مسلم للإمام النووي ج٧ ص ٩٤ ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت س ١٣٩٣هـ

(٢) صحيح البخاري ومسلم واللفظ للبخاري كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم ، ومسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ....

٥ - تعتمد العلمانية علي مبدأ الميكيافيلية [١] في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق [٢]. وهو مبدأ يقوم علي أن الغاية تبرر الوسيلة مهما كانت هذه الوسيلة منافية للدين والأخلاق، ومهما كانت حسنة أو سيئة........... وأعطي مكيافيللي (صاحب كتاب الأمير) الشرعية للوسائل الخسيسة التي يستخدمها الحاكم من كذب وغش وخديعة وقتل وسفك دماء... والقرن العشرون خير نموذج لما نقول، فقد قامت في هذا القرن أبشع دكتاتوريات التاريخ!

.... فقد انحدرت العلمانية في تبرير الوسيلة بالغاية، وكلتا الوسيلة والغاية ما أنزل الله بها من سلطان! [٣].

واتخذ المنحرفون هذا الاتجاه سبيلا إلي الإفساد في الأرض، والاستهانة بالفضائل الإنسانية والأخلاق الربانية، ليحققوا غايات فردية أو جماعية، أودت بمن أخذ بها من الشعوب والأمم إلي الدمار العام والشامل.

فالأرض أمست كلها مجال لمؤامرات ودسائس بغير حساب.

---

(١) نسبة إلي ميكافيلي (١٤٦٩-١٥٢٧م) وهو أول المفكرين السياسيين الأوربيين، وهو إيطالي الجنسية ، اشتهر بكتابه (الأمير) الذي دعا فيه دعوة صريحة إلي فصل السياسة عن الدين والأخلاق ، ووضع مبدأ عمليا لها وهو (الغاية تبرر الوسيلة). انظر : كواشف زيوف ص٣٨٠.

(٢) الموسوعة الميسرة ج٢ ص ٦٩٢.

(٣) انظر: مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨) مرجع سابق.

أرادوا انقلابا هنا... وأرادوا تغييرا هناك!

وسرعان ما تنقلب الأرض وتتغير الأحوال!

والوسائل كلها حلال!

الكذب والغش والتصفية الجسدية وشراء الضمائر بالمال!

المهم أن تنفذ الغاية.. والغاية والوسيلة كلتاهما غارقة في الأوحال!

(إن الرذائل الخلقية التي تقتضيها الميكافيلية مقبولة عند دعاتها إذا كانوا يمارسونها هم ضد غيرهم، ومرفوضة إذا كان غيرهم يمارسها ضدهم، وهذا تناقض منطقي بدهي، لا يلتزم به من يحاكم الأمور بعقله، ولكن يكابر فيه من يحاكم الأمور بأهوائه، وشهواته، ومصالحه الخاصة.

أن من المعروف في الحياة أن لكل إنسان، ولكل مجموعة بشرية، مطالب نفسية، وحاجات جسدية، وأنه لابد لتحقيق أي مطلب من مطالب النفس، وأية حاجة من حاجات الجسد من اتخاذ وسيلة إلي ذلك.

فهل يصح في عقل أي إنسان عاقل اتخاذ أية وسيلة في الدنيا، مهما كان شأنها عظيما، لأية حاجة مهما كان شأنها حقيرا تافها؟

فإذا كانت الغايات مطلقا تبرر أية وسيلة دون قيد أو شرط، فما أجدر الميكافيلي الذي يأخذ هذه الفكرة الفاسدة أن ينحدر إلي أخس

مرتبة يمكن أن تتصور في الوجود، ويرد إلي أسفل سافلين [١].

٦ – نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة.

تحررت المرأة فتحللت من القيود كلها، وفي مقدمتها قيود الدين وقيود الأخلاق، وطالبت بالمساواة مع الرجل فرفضت أن يكون قيما عليها لأن القوامة لا تصلح بين الأنداد!

واشتغلت. فانشغلت عن مهمتها الأولى في تربية النشء..

وتفككت الأسرة وانحل البيت وتشرد الأطفال، وتكونت منهم عصابات جانحة ترتكب الجرائم لمجرد سد الفراغ.

وانحلت روابط المجتمع.... وانتشر الشذوذ لأسباب كثيرة. [٢] هذه هي العلمانية التي أرادوها، وأرادوا نشرها في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

الإسلام يتنافى مع العلمانية:

إن الإسلام يقوم علي أساس إشباع عنصري الإنسان الروح والجسد، ورفع الازدواجية في حياة المرء، حيث وحد بين الدين والدنيا والآخرة، ومن ثم جعل الدنيا مزرعة للآخرة، ووازن بين العقيدة وبين الواقع الذي يعيشه المرء، فحكمت العقيدة هذا الواقع، وقننت لكل

---

(١) انظر : كواشف زيوف ص ٣٨٢ وما بعدها .

(٢) انظر: مذاهب فكرية معاصرة ص٤٧٨.

حركة من حركات الإنسان.

أما العلمانية فقد خلقت في الإنسان ثنائية زائفة حين جعلت (الدين مجرد شعائر وعلاقات بين العبد وربه دون أن تحكم هذه الشعائر حركة الإنسان وتنظم له قوانين التعامل، وأصبح علي الإنسان أن يختار أحد المصيرين، إما الدنيا فيخضع لكم قيصر وقوانينه ونظمه، ويعيش حياته كما يريد دون التزام ديني، وإما الآخرة فيخضع لأحكام الله وينسحب من الدنيا ويعيش حياة الزهد والرهبنة، وهذا ما يفسر لنا انتشار الرهبانية كنظام للحياة بعد فترة قصيرة من ظهور المسيحية (١).

وأصبحت حياة العلمانيين مبعثرة ممزقة لا يجمعها رباط ولا يشدها مصير، (يدخل الواحد منهم الكنيسة ليسجد لله ويلعن الطبيعة، ثم يخرج إلي المصنع أو البنك لينحني إلي الدولار ويكفر بالله.

يركض وراء العقل البشري يخطط له منهاجا في حياته الجماعية، ويسعى إلي الدين ليهبه الطريق في حياته الفردية، دنياه تتجه إلي اليسار، وآخر ته تتجه إلي اليمين، فإن أراد الدنيا ابتعد عن الآخرة وضاع منه مصيره الأبدي، وإن أراد الآخرة ابتعد عن الدنيا وضاع منه واقعه الذي يعيشه (٢).

---

(١) انظر تهافت العلمانية د/ عماد الدين خليل ص٧٧ ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
(٢) المرجع السابق ص ٨٣.

ثم إن العلمانية لما أشبعت في الإنسان الحياة المادية فقط وأهملت تماما الناحية الروحية والنفسية، لأنها استبعدت الدين من مجالات الدنيا، فغدت حضارتها عوراء لا تنظر إلي الإنسان إلا بعين واحدة، وعدمت الرؤية الكاملة للإنسان ومطالبه، فرغم ما قدمته له هذه الحضارة من وسائل راحة، وأسباب تقدم مادي، إلا أنها دمرت الإنسان، وأفقدته سعادته، وبات في تعاسة وبؤس وتمزق وقلق، وعجزت عن أن تقدم له السعادة والطمأنينة والسكينة وغيره من الأمور التي لا يشبعها إلا الإيمان بخالقها والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [الفتح:٤].

وبين الله تعالى هذه التعاسة لمن فقد الإيمان به في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥].

(هذا ما يشهد به الواقع الماثل، وما أيده التاريخ الحافل، وما يلمسه كل إنسان بصير منصف، في نفسه وفيمن حوله.

لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقا وضيقا واضطرابا، وشعورا بالتفاهة والضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان، وبرد اليقين.

إن حياتهم لا طعم لها ولا مذاق، وإن حفلت باللذائذ والمرفهات؛ لأنهم لا يدركون لها معنى، ولا يعرفون لها هدفا، ولا يفقهون لها سرا،

فكيف يظفرون مع هذا بسكينة نفس، أو انشراح صدر؟.

إن هذه السكينة ثمرة من ثمار دوحة الإيمان، وشجرة التوحيد الطيبة، التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

فهي نفحة من السماء ينزلها الله علي قلوب المؤمنين من أهل الأرض، ليثبتوا إذا اضطرب الناس، ويرضوا إذا سخط الناس، ويوقنوا إذا شك الناس، ويصبروا إذا جزع الناس، ويحلموا إذا طاش الناس [١].

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - (في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال علي الله. وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله. وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته. وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار إليه.

وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر علي ذلك إلي وقت لقائه.

وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدا) [٢].

إن إبعاد الدين عن مجالات الحياة في المجتمع الغربي نتج عنه ما يلي:

---

(١) انظر : الإيمان والحياة د / يوسف القرضاوي ص ٧٥ ، ٧٦ ط/ مؤسسة الرسالة الطبعة التاسعة عشر ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

(٢) مدارج السالكين ج٣ ص ١٧٢ ط/ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م.

١ - الولوع في المشروبات الروحية.

٢ - الإدمان علي المخدرات.

٣ - الأمراض العصبية والنفسية.

٤ - الجرائم البشعة.

٥ - السعار الجنسي الرهيب.

٦ - الانتحار.

* وإليك بعض الأرقام المذهلة عن أمراض المجتمعات العلمانية:

١ - عدد الذين يدمنون الخمر في أمريكا يزيد عن ٥٠٪.

٢ - عدد الذين يتعاطون المخدرات ٤٩٪ من الشعب الأمريكي.

٣ - ٥٥٪ من أسرة جميع المستشفيات مخصصة للمرضى العصبيين.

٤ - في السويد ٢٥٪ من الشعب مصاب بالأمراض النفسية، وتنفق الدولة ٣٠٪ من ميزانيتها لعلاجهم، ونسبة الموظفين الذين يخرجون من وظائفهم بسبب الأمراض النفسية ٥٠٪.

أما عن أمراض الشذوذ الجنسي، وجرائم الاغتصاب والقتل في أمريكا فحدث عنها ولا حرج، فهناك ٩٠٪ من الشباب الأمريكي مصاب بأمراض الزهري والسيلان.

وقد صرح الرئيس الأمريكي كندي سنة ١٩٦٢م بأن ٨٥٪ من

الشباب الذين يتقدمون للجندية غير صالحين، لأن الشهوات التي غرقوا فيها قد أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية [١].

والسؤال لماذا يرفض الإسلام العلمانية؟

يقول الفرد هوايت هيو: (ما من مسالة ناقض العلم فيها الدين إلا وكان الصواب بجانب العلم والخطأ حليف الدين) وهذا القول إن صح بين العلم واللاهوت في أوروبا فهو قول مردود ولا يصح بحال فيما يخص الإسلام حيث لا تعارض إطلاقاً بين الإسلام وبين حقائق العلم، ولم يقم بينها أي صراع كما حدث في النصرانية. وقد نقل عن أحد الصحابة قوله عن الإسلام: (ما أمر بشيء، فقال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به) وهذا القول تصدقه الحقائق العلمية والموضوعية وقد أذعن لذلك صفوة من علماء الغرب وفصحوا عن إعجابهم وتصديقهم لتلك الحقيقة في مئات النصوص الصادرة عنهم.

ولذلك فالإسلام يرفض العلمانية لما يلي:

لأنها تغفل طبيعة الإنسان البشرية باعتبارها مكونا من جسم وروح فتهتم بمطالب جسمه لا تلقي اعتبارا لأشواق روحه.

لأنها نبتت في البيئة الغربية وفقا لظروفها التاريخية والاجتماعية

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ص ٢٤٠ نقلا عن الإسلام ومستقبل البشرية د/ عبد الله عزام ص٣٣

والسياسية وتعتبر فكرا غريبا في بيئتنا الشرقية، ولأنها تفصل الدين عن الدولة فتفتح المجال للفردية والطبقية والعنصرية والمذهبية والقومية والحزبية والطائفية، لأنها تفسح المجال لانتشار الإلحاد وعدم الانتماء والاغتراب والتفسخ والفساد والحلال.

لأنها تجعلنا نفكر بعقلية الغرب، فلا ندين العلاقات الحرة بين الجنسين وندوس على أخلاقيات المجتمع، ونفتح الأبواب على مصراعيها للممارسات الدنيئة، وتبيح الربا وتعلي من قدر الفن للفن، ويسعى كل إنسان بسعاد نفس ولو على حساب غيره. لأنها تنقل إلينا أمراض المجتمع الغربي من إنكار الحساب في اليوم الآخر ومن ثم تسعى لان يعيش الإنسان حياة متقلبة منطلقة من قيد الوازع الديني، مهيجة الغرائز الدنيوية كالطمع والمنفعة، وتنازع البقاء ويصبح صوت الضمير عدما.

مع ظهور العلمانية يتم تكريس التعليم لدراسة ظواهر الحياة الخاضعة للتجريب والمشاهدة وتهمل أمور الغيب من أيمان بالله. والبعث والثواب والعقاب، وينشا بذلك مجتمع غايته متاع الحياة وكل لهو رخيص[1].

الآثار السيئة للعلمانية علي العالم الإسلامي:

انتقلت العلمانية إلي العالم الإسلامي عن طريق انحراف كثير من

(١) انظر الموسوعة الميسرة ج ٢ ص ٦٩٣ – ٦٩٤ وانظر المراجع السابقة

أبناء الأمة عن جادة الصواب وعدم التمسك بالسنة والكتاب، فانتشرت البدع والخرافات، والتمزق والانقسامات، والهجمات الشرسة للاستعمار من شرق وغرب، والغزو الفكري، والبعثات الخارجية[١].

وقد كان لتسرب العلمانية، وتسللها إلي العالم الإسلامي، أسوأ الآثار علي المجتمعات المسلمة، في دينهم ودنياهم.

ومن أبرز هذه الآثار:

١- التراجع عن تطبيق الإسلام في شتى ميادين الحياة، والاستعاضة عن الشريعة الإسلامية بالقوانين الغربية والأنظمة الوضعية، وظهور من يدعي بأن الاحتكام إلي الشريعة الإسلامية، وتطبيقها تخلفا ورجعية، والزعم بأنها لا تتوافق مع الحضارة الحديثة.

٢ – تسخير التعليم ليخدم الفكر العلماني، ويرسخ مبادئه بوسائل متباينة منها:

أ – بث الأفكار العلمانية في ثنايا مقررات الدراسة.

ب – محاولة منع تدريس نصوص معينة تتعارض مع فكرهم، وتتباين مع أغراضهم.

---

(١) انظر :تفصيل ذلك حول العوامل التي ساعدت على انتقال الفكر العلماني إلى البلاد الإسلامية في المرجع الآتية : العلمانية د/ سفر الحوالي ص ٥١٥ ـ ٥١٧ ، و الإسلام قوة الغد العالمية . باول شمتز ص٧٨، خصائص التصور الإسلامي الأستاذ سيد قطب ص١٣١.

ج – تهميش مادة الدين ومحاولة التقليل من أهميته وتقليص الفترة الزمنية له.

د- ابتار النصوص الشرعية، ولي عنق النص ليخدم الفكرة العلمانية.

٣ – محاولة غرس فكرة تقارب الأديان، وتعمد إذابة الفوارق بين الرسالات، وصهر الجميع في بوتقة واحدة.

٤ – تهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى للمجتمع ،بإشاعة الفاحشة والرذيلة، ونشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، ومحاربة الحجاب وفرض السفور.

فـ(العلمانيون في العالم الإسلامي يعرفون بالاستهانة بالدين، والتهكم والاستهزاء بالمتمسكين به، كما يعرفون بإثارة الشبهات، وإشاعة الفواحش - كالسكر، والتبرج، والاختلاط المحرم – ونشر الرذائل، ومحاربة الحشمة والفضيلة، والحدود الشرعية، والاستهانة بالسنن، كما يعرفون أيضا بحب الفساق والكفار والإعجاب بمظاهر الحياة الغربية وتقليدها) [1].

٥- إعلان الحرب علي الدعوة، واضطهاد دعاة الإسلام في كل مجال من مجالات الحياة، وإلصاق التهم الباطلة بهم، ورميهن بالتخلف والرجعية.

٦- إزالة رابطة الدين والأخوة الإسلامية، والاستعاضة عنها

(١) انظر : الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١١١.

برابطة القومية أو الوطنية.

٧- استهجان فريضة الجهاد، واستنكار المقاومة ضد الغزاة والمحتلين، ووصفهم بالإرهابيين، والهمجيين، والمتطرفين.

هذه بعض الآثار السيئة والثمار الخبيثة لما ظهر في عالمنا الإسلامي من شجرة علمانية خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

حكم الإسلام في العلمانية:

لما يئس أعداء الأمة عن زحزحة المسلمين عن عقيدتهم بطرقة مباشرة، حاولوا أن يزحزحوهم بطريقة غير مباشرة، فلم يجرؤا علي المطالبة بترك العقيدة، والابتعاد عن ثوابتها، ولكنهم لم ييئسوا من دفع شريحة من أبناء الأمة الذين ألبستهم عباءة الريادة والقيادة، إلي فرض قوانين الغرب ونظمهم، وعزل شريعتنا وأنظمتنا، بزعم التقدم والرقي والحضارة.

لكننا نقول لهم: إن الدين الحق لا يمكن ابتداء أن يكون عقيدة مفصولة عن الشريعة.

فالالتزام بالشريعة - في دين الله الحق - هو مقتضى العقيدة ذاتها. مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله.. بحيث لا تكون الشهادة صحيحة وقائمة إن لم تؤد عند صاحبها هذا المعنى، وهو الالتزام بما جاء من عند الله، والتحاكم إلي شريعة الله، ورفض التحاكم إلي أي شريعة سوى شريعة الله.

قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء:٦٥].

يقول ابن تيمية: (والمقصود هنا أن كل من نفاه الله ورسوله من مسمى أسماء الأمور الواجبة كاسم الإيمان والإسلام والدين والصلاة والصيام والطهارة والحج وغير ذلك فإنما يكون لترك واجب في ذلك المسمى... ومن هذا قوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء:٦٥].

فلما نفى الإيمان حتى توجد هذه الغاية دل ذلك على أن الغاية فرض على الناس فمن تركها كان من أهل الوعيد) [١].

لقد نزل هذا الدين ليعطي التصور الصحيح لحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية، وليقيم في عالم البشر واقعا محكوما بهذا التصور، منبثقا عنه، مرتبطا به، متناسقا معه في كلياته وجزئياته، لا يتصادم معه ولا ينحرف عنه.

ومن ثم فإن الإسلام يرفض العلمانية بصورتيها رفضا قاطعا، لأنها تتباين مع تعاليم الإسلام.

فإقامة الدولة في الإسلام ضرورة لابد منها، وذلك لإنفاذ الأحكام،

---

(١) انظر : مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٩٦ نقلا عن كتاب الإيمان لابن تيمية ص ٣٣ ط/ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

وتطبيق الأنظمة الشرعية، وصيانة الحقوق، والوصول إلي تحقيق أهداف الدين في حفظ كلياته الخمس، الدين والنفس والعقل والمال والعرض.

والمتأمل في هذا الدين، يجد أن أوامر الله تعالى، ونواهيه قد شملت الحياة بأسرها، فليس هناك جانب من جوانب الحياة أو شيء من نظمها إلا ولله تعالى فيه حكم، وله فيه أمر، أو نهي، وقد وضع سبحانه أصولا للتعامل فيها، وفصل للأمة بعض جوانبها تفصيلا، سواء أكان في الجانب العقدي، أم السياسي، أم الاجتماعي، أم الاقتصادي، أم التربوي ،أم غير ذلك.

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا....﴾ قال الأمام ابن كثير- رحمه الله – قال ابن مسعود رضي الله عنه .قد بينا لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء، وقال مجاهد: كل حلال وكل حرام، وقول ابن مسعود أعم وأشمل، فإن القرآن اشتمل على كل نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم)[1].

ويتبين حكم الإسلام في العلمانية فيما يلي:

١ – العلمانية من الجانب العقدي تعني التنكر للدين وعدم الإيمان به، وترك العمل بأحكامه، وحدوده، وهذا كفر صريح.

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير عند تفسيره لهذه الآية. ط/ دار الكتب العلمية بيروت .

٢ - العلمانية في الجانب التشريعي تعني فصل الدين عن الدولة، أو فصل الدين عن الحياة كلها، وهذا يعني الحكم بغير ما أنزل الله.

وقد فصل العلماء الحكم فيمن يحكم بغير ما أنزل الله على النحو التالي:

أ - إذا وقع الحكم بغير ما أنزل الله تعالى والحاكم - سواء أكان فردا أم مجموعة - يعتقد أن حكم الله غير صالح أو غير جدير، أو إن حكم القوانين أصلح وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس... أو اعتقد أن حكم القوانين مساوية لحكم الله ورسوله، أو اعتقد جواز الحكم بغير بما يخالف حكم الله ورسوله ونحو ذلك فهو كفر اعتقاد مخرج عن الملة [١].

ومن ثم فالعلماني يقع في ناقض من نواقض الإيمان (فمن اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ:أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت علي حكمه فهو كافر) [٢].

ويوضح الشيخ ابن باز حكم العلماني بقوله رحمه الله: (من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها، ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل أو نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو

---

(١) انظر : تحكيم القوانين للشيخ محمد إبراهيم ص ١٦ ــ ٢٠ بتصرف.

(٢) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج٦ ص ٢٥٨. الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

أنه كان سببا في تخلف المسلمين، أو انه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى، ويدخل في القسم الرابع - أي من نواقض الإيمان - أيضا: من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضا كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة: لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرمه الله إجماعا، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين) [١].

ب - أما إذا وقع الحكم بغير ما أنزل الله عن جهل، أو ضعف، أو عن هوى في النفس، أو غرض دنيوى، مع الاعتقاد بأن حكم الله تعالى ورسوله ﷺ أحق وأصلح وأجدر، وأنه أفضل من القوانين الوضعية فهذا كفر عملي، وهو فسق وظلم تقام الحجة على صاحبه، ويبين له الحق، ويجب على المسلم أن يتوب إلي الله تعالى، ويرجع إليه [٢].

والدليل على ذلك فهم السلف رضوان الله عليهم لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: من الآية٤٤]

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ج ١ ص ١٣٢ جمع وترتيب وإشراف د/ محمد بن سعد الشويعر الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ ط/ رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

(٢) انظر: الموجز في الأديان ص١١١ ، وتحكيم القوانين ص٢٤.

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: من الآية٤٥]
﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: من الآية٤٧].

حيث قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ليس بكفر ينقل عن الملة)، وقال عطاء (كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق) (١).

يقول القاضي أبو العز الدمشقي: (وهنا أمر يجب أن يتفطن له، وهو: أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة، وقد يكون معصية: كبيرة أو صغيرة، ويكون كفرا: إما مجازيا، وإما كفرا أصغر، على القولين المذكورين. وذلك بحسب حال الحاكم: فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله؛ فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة؛ فهذا عاص، ويسمى كافرا كفرا مجازيا، أو كفرا أصغر. وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده، واستفراغ سعه في معرفة الحكم وأخطأه، فهذا مخطئ، له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور.) (٢).

٣ - أما من الجانب الأخلاقي فالعلمانية تعني: التحلل والرذيلة، والانفلات والفوضى الأخلاقية، وإشاعة الفاحشة، والشذوذ الجنسي،

---

(١) انظر : تفسير الطبري (جامع البيان) عند تفسيره لهذه الآية ط/ دار الكتب العلمية بيروت ، وتفسير ابن كثير كذلك ، ومدارج السالكين ج١ ص ٣٦٥.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الدمشقي ج ٢ ص ٤٤٦. تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، وشعيب الأرناؤوط ط/ مؤسسة الرسالة.

والاستهانة بالثوابت الشرعية، والفضائل والأخلاق الدينية، وهذا ضلال مبين وفساد في الأرض، ومن العلمانيين من يرى أن السنن والآداب الشرعية والأخلاق الإسلامية إنما هي تقاليد موروثة، وهذا تصور جاهلي منحرف[1].

وإن الباحث المدقق في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، لينتهي من خلال بحثه إلي أن العلمانية دعوة مرفوضة في الإسلام، لأنها دعوة إلى ترك الحكم بم أنزل الله للاحتكام إلي حكم الجاهلية، والله تعالى يقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨].

فقوله تعالى: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: من الآية٤٢]. (أي فأحكم يا محمد بين الناس: عربهم وعجعهم، أميهم وكتابيهم بما أنزل الله إليك هذا الكتاب العظيم، وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء، ولم ينسخه في شرعك)[2]

(١) انظر : الموجز في الأديان ص ١١١ بتصرف.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير عن تفسيره لهذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

(ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله؛ كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم... ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به، وأيقن، وعلم أن الله أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء) [1].



(١) المرجع السابق عند تفسيره لهذه الآية.

المطلب الثالث

القـــــــــومية



توطئة

إن العالم قبل أن يرى نور هذا الدين، ويسطع فيه ضياؤه كان في حالة تمزق وشتات لا تربطه إلا العصبيات المذمومة، والقوميات االمقوتة، والنزعات العرقية الضيقة.

(وجاء الإسلام فوجد الناس يتجمعون على آصرة النسب، أو يتجمعون على آصرة الجنس، أو يتجمعون على آصرة الأرض، أو يتجمعون على أصرة المصالح والمنافع القريبة، وكلها عصبيات لا علاقة لها بجوهر الإنسان، إنما هي أعراض طارئة على جوهر الإنسان الكريم، وقال الإسلام كلمته الحاسمة في هذا الأمر الخطير الذي يحدد علاقات الناس بعضهم ببعض تحديدا أخيرا.

قال: إنه لا لون ولا جنس ولا نسب ولا أرض ولا مصالح ولا منافع هي التي تجمع بين الناس أو تفرق، إنما هي العقيدة.. إن آصرة المجتمع هي العقيدة، إن العقيدة هي أكرم خصائص الروح الإنساني، فأما إذا نبتت هذه الوشيجة فلا آصرة ولا تجمع ولا كيان. إن الإنسانية يجب أن تتجمع على أكرم خصائصها لا على مثل ما تتجمع عليه البهائم من الكلأ والمرعى أو من الحد والسياج.

والأمة هي المجموعة من الناس تربط بينها آصرة العقيدة وهي جنسيتها وإلا فلا أمة لأنه ليس هناك آصرة تجمعها، والأرض والجنس واللغة والنسب والمصالح المادية قريبة. لا تكفي واحدة منها ولا تكفي كلها لتكوين أمة إلا أن تربط بينها رابطة العقيدة)[١].

وهكذا سما الإسلام بنفسه فوق الأجناس والألوان وخاطب الشعوب جميعا ابتغاء توحيدها في أمة واحدة متآخية لا تعرف لإنسان فضلا يباهي به إلا باستمساكه بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

وما أن ظهر الإسلام حتى نادى في الناس أن اتركوا كل هذه الروابط الجاهلية واتحدوا في أمة واحدة شعارها لا إلا إله إلا الله محمد رسول الله فخاطبهم بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الانبياء:٩٢].

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٢].

وفي خطواته الأولى بعد الهجرة آخى المؤاخاة الفذة في التاريخ، وهي التي عقدها صاحب الشريعة النبي ﷺ بنفسه، وطبقها بإشرافه، وأقام على أساسها أول مجتمع ينشؤه، وأول دولة يبنيها!.

ووصلت المؤاخاة إلى حد أن الرسول ﷺ قد آخى بين أناس من أشراف القبائل العربية وبين الموالي من الفرس والروم، وكان بلال

---

(١) انظر : هذا الدين الأستاذ سيد قطب ص٨٣ ط/ دار الشروق .

الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي في القمة من ذلك المجتمع، مع السادة من قريش، حتى قال الرسول ﷺ: سلمان منا آل البيت.

وكان عمر رضي الله عنه وهو في الذؤابة من قريش يقول عن بلال: (سيدنا بلال) وهي قمة لم تصل إليها البشرية في تاريخها كله إلا في أمة العقيدة..

وهذه الأخوة في بعض معانيها -- في مطلع العهد المدني -- تأكيد عملي للارتقاء بهذه الرابطة الإيمانية فوق جميع الروابط الأخرى بما فيها النسب، وهكذا يتحقق في واقع الحياة العملي المعنى الذي يسعى إليه هذا الدين[1].

إن الوحدة الإسلامية بوجود الخلافة التي يدين لها أكثر المسلمين بالولاء والطاعة، من الأمور التي جاهد أعداء الأمة للقضاء عليها.

وخوف الغرب من الوحدة الإسلامية العربية - رغم ضعف المسلمين في القرون الأخيرة، أشد من خوفه من أي خطر آخر.

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام ج١ ص ٥٠٧ ط/ دار الكتب العلمية بيروت ، وفقه السيرة النبوية / منير محمد الغضبان ص ٣٥٨ ط/ مركز بحوث الدراسات الإسلامية مكة المكرمة ، والسيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة / صالح أحمد الشامي ص ١٥٥ ط/ المكتب الإسلامي ، والسيرة النبوية دروس وعبر د/ مصطفى السباعي ص ٨٧ ط/ المكتب الإسلامي.

لماذا يخاف الغرب المسلمين ولا يخاف اليهود أو غيرهم؟

وتأتي الإجابة علي لسان لورانس براون: (إن المسلمين يختلفون عن اليهود لأن الإسلام دين دعوة، وهو ينتشر بين النصارى أنفسهم وبين غير النصارى، وقد كان للمسلمين كفاح طويل في أوربة فأخضعوها في مناسبات كثيرة، والمسلمون لم يكونوا يوما ما – مثل اليهود – أقلية موطوءة بالأقدام، ولا يمكن أن نجد مكانا يمكن أن يصبح المسلمون فيه أقلية مثل هذه إلا في فلسطين والهند

ثم يقول براون: لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة بدون مبرر، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ولم نجدهم خطرا علينا، وعلي هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا خطأ التهديد بالخطر الشيوعي إذ وجدنا البلاشفة حلفاء لنا، أما الخطر الأصفر (الذي يتمثل في الشعوب الصفر مثل اليابان) فإن هناك دولا ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتها، ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته علي التوسع والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي)[1]

لقد فزع أعداء الأمة أيما فزع من وحدة المسلمين، ونصوا على ذلك

---

(١) انظر: المدخل إلي الثقافة الإسلامية د / محمد رشاد سالم ص ٣٤ – ٣٥. بتصرف ط/ دار القلم س ١٤٠٧ ه / ١٩٨٧ م نقلا عن التبشير والاستعمار ص ١٨٤. ومذاهب فكرية معاصرة ص ٥٥٤ ط/ دار الشروق الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

في أقوالهم، وتقاريرهم السرية.

يقول لورانس - منفذ سياسة بريطانيا آنذاك -: (إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا، أو أمكن أن يصبحوا نعمة له أما إذا ظلوا متفرقين، فإنهم حينئذ يظلون بلا قوة ولا تأثير)[١].

ومن ثم كانت خطة أعداء الأمة هي القضاء على وحدة المسلمين وتمزيق الأمة الإسلامية بمثل هذه الطريقة من طرق الغزو الفكري طريقة القومية.

مفهوم القومية:

تطلق كلمة القومية ويراد بها أن أبناء الجنس الواحد واللغة الواحدة، والأصل الواحد، ينبغي أن يكون ولاؤهم واحدا، وإن تعددت أرضهم وتباينت أوطانهم. كما يراد بها أيضا:

(السعي للوصول إلي توحيد الوطن بحيث تجتمع القومية الواحدة في وطن شامل، فيكون الولاء للقومية مصحوبا بالولاء للأرض، ولكن يظل الولاء للقومية هو الأصل حتى وإن لم تتحقق وحدة الأرض) [٢].

وأما عن تعريف القومية العربية فهي: (حركة سياسية فكرية

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٣٧.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة الأستاذ محمد قطب ص ٥٥٤.

متعصبة، تدعوا إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين. وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوربا) [١].

وأيا كانت التعريفات النظرية للقومية، فالمهم أن تعرف بادئ ذي بدء أن منشأها في أوربا، ثم تعدى آثارها التي ترتبت عليها في التاريخ البشري الحديث أخبث وأشد ما يقضى على أي وحدة أمة وتفككها.

كانت أوربا في وقت من الأوقات وحدة سياسية تجمع قوميات ولغات وأجناسا شتى، في ظل الأمبراطورية الرومانية.

ثم بدأت في الظهور حركات إصلاحية مبتورة غير ناضجة، استغلها ذوو الأهواء لحسابهم الخاص، فأفسدوا هذه الوحدة وحولوها إلى اتجاه شرير..

على أن الشر الذي نجم من القوميات لم يكن شرا شخصيا ينتهي أمره بهبوط أصحابه عن إنسانيتهم وقبوعهم في داخل حدودهم وهم متشحون بذلك الهبوط. كلا! ليس ذلك من (شيم) القوميات.

وبدت آثار القومية في التعدي من مكان إلى آخر حتى تعددت التجمعات التي قامت في العالم على أساس قومي.. وإن تسترت أحيانا وراء مختلف العناوين! لكنها تطورت خلال التاريخ المعاصر، وبرزت

---

(١) الموسوعة الميسرة ج ١ ص ٤٤٨.

آثارها الشريرة في حياة العالم كله، حتى غدت (المصالح القومية) هي الأصل المعترف به في دنيا الناس، على حساب القيم والمبادئ وكل معنى من معاني (الإنسانية) عرفته البشرية في يوم من الأيام.

(في هذه الأثناء كانت فكرة القوميات والعرقيات تشيع في أوربا[1] وتمزقها إربا بعد أن كانت الرابطة هناك تقوم على أساس الدين إذ راحت كل دولة تبحث عن أصلها ولغتها وجنسها وتحاول إحياء ذلك على حساب الدين النصراني كعامل ربط بينهم لفترة طويلة.

إن الجانب المهم من الموضوع مازال في حاجة إلى بيان.. ذلك هو (تصدير) دعاوى القومية إلى العالم الإسلامي. لما انتهوا من تفكك أوربا، أخذوا يفكرون في إضعاف قوة الأمة الإسلامية، وتمزيق وحدتها كما فعلوا بأوربا.

ولكن ما الطريق إلى تمزيق هذه الوحدة الإسلامية؟

الطريق هو بذر بذرة الوطنية أولا في العالم الإسلامي. ثم يجيء دور القومية بعد ذلك فيتحقق لهم أهداف كثيرة أبرزها:

(تحويل حركات الجهاد الإسلامي ضد الاستعمار الصليبي إلى

---

(١) انظر : احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام د/ سعد الدين صالح ص ١٤٩ ط/ مكتبة الصحابة الإمارات مكتبة التابعين القاهرة الطبعة السابعة ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م. نقلا عن من المجتمع العربي د/ صوفي أبو طالب وآخرون ص ١٨٦.

حركات وطنية، كما فعل سعد زغلول في مصره وغيره من الزعماء (الوطنين) على اتساع العالم الإسلامي. والحركة الوطنية تفترق عن حركة الجهاد الإسلامي بادئ ذي بدء في أنها لا تنظر إلى (العدو) على أنه (صلبي مستعمر) ولكن على أنه (مستعمر) فقط.. وفرق واضح في درجة العداء وطريقة المجاهدة بين أن يكون العدو منظورا إليه على حقيقته، وبين أن يكون مغلفا برداء الاستعمار فحسب) [١].

ثم بعد دور الوطنية، جاء دور القوميات فنقلوا إلى العالم الإسلامي النزعات القومية والعرقية، وإحياء الحضارات الجاهلية القديمة البائدة. مثل الطورانية في تركيا، والفارسية في إيران، والقومية العربية في العالم العربي، والقومية البربرية في الغرب العربي، وجندوا لهذه الدعوات رجالا من بني جلدتنا، ويتحدثون بلغتنا.

تاريخ ظهور القومية العربية:

ظهرت بدايات الفكر القومي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متمثلة في حركة سرية تألفت من أجلها الجمعيات والخلايا في عاصمة الخلافة العثمانية، ثم في حركة علنية في جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت مقراً لها، ثم في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس سنة ١٩١٢م[٢].

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة الأستاذ محمد قطب ص٥٧٧ ـ٥٧٨

(٢) الموسوعة الميسرة ج ١ ص ٤٤٨.

وقد تبنت الجامعة الأمريكية بعد ذلك الدعوة لهذه الفكرة الخبيثة، كما يقول (مايلز كوبلاند): (في الجامعة الأمريكية في بيروت ولدت فكرة القومية العربية وترعرع دعاتها، حتى إن أكثر من ٩٠٪ من الدعاة للقومية العربية كانوا من خريجي الجامعة الأمريكية)[١].

هذا وقد ظلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة، وفي عدد محدود من أبناء المسلمين الذين تأثروا بفكرتها، ولم تصبح تياراً شعبياً عاماً إلا حين تبنى الدعوة إليها الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر حين سخر لها أجهزة إعلامه وإمكانات دولته. ويمكن أن يقال إنها الآن تعيش فترة انحسار أو جمود على الأقل.

ومن ثم يتبين لنا أن أول من نادى بالقومية العربية هم نصارى لبنان وسوريا، وبعض (المسلمين) الذين تربوا في مدارس التبشير، ورضعوا لبن الغرب النصراني وتربوا على موائده وفكره، ثم انضم إليهم المستغفلون من المسلمين الذين لم يجدوا تعارضا بين الإسلام والعروبة علي أساس أن العروبة هي عصب الإسلام، وأن العرب هم الذين حملوا الإسلام إلي البشرية [٢].

ومن هؤلاء الذين حملوا لواء الدعوة إلى القومية العربية: بطرس

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام د/ سعد الدين صالح ص١٥٣ نقلا عن لعبة الأمم ص ٢١٩.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة أ. محمد قطب ص ٥٨١ مرجع سابق.

البستاني الذي أصدر عددا من المنشورات، شعارها (حب الوطن من الإيمان) وأسس في سنة ١٨٦٣م مدرسة خاصة على أساس وطني تدرس فيها فكرة القومية العربية، وراح يشيد بالقومية العربية، وبذلك كان أول نصراني يدعو إلى العروبة، ويتكلم باعتزاز عن الدم العربي الذي يجري في عروقه، ويعد ساطع الحصري ١٨٨٠-١٩٦٨م داعية القومية العربية وأهم مفكريها وأشهر دعاتها، وله مؤلفات كثيرة تعد الأساس الذي يقوم عليه فكرة القومية العربية، ويأتي بعده في الأهمية مشيل عفلق[1].

(والنصارى في لبنان وسوريا كانوا جزءا من أدوات أوربا لإزعاج (الرجل المريض) وإرباكه، بغية تسهيل القضاء عليه وتوزيع تركته بين المتربصين الذين ينتظرون الساعة (العظمى) التي يقضون فيها على بقايا الإسلام.

وما كان نصارى لبنان وسوريا في تلك الفترة يجرؤون أن يخرجوا على الحكم الإسلامي علانية وبالاسم الصريح للخروج. فقد كانوا أقلية محوطة بأكثرية مسلمة، تدين بالولاء القلبي والسياسي لدولة الخلافة، ولا تتصور لنفسها حكومة غير الحكومة الإسلامية. لذلك فلم

---

(٢) الموسوعة الميسرة ج ١ ٤٤٩ – ٤٥٠ وانظر : العرب والإسلام الأستاذ/ أبو الحسن الندوي ص ٩٢ – ٩٣ ط المكتب الإسلامي بيروت ط ٣ س ١٤٠١ هـ والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د/ محمد حسين ج٢ ص ٩٩ وما بعدها ط/ دار الرسالة مكة المكرمة الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

يكن في وسع أولئك النصارى أن يقولوا: لا نريد حكم الإسلام علينا ولا نريد حكم الخلافة الإسلامية! ولذلك كان نشاطهم سريا من جهة، وباسم غير اسم الخروج على الحكم الإسلامي من جهة أخرى.. كان نشاطهم يقوم باسم العروبة والقومية العربية، وهو شعار يمكن أن يلتبس فيه الأمر على المسلمين العرب، ولا يروا - لغفلتهم - أنه موجه ضد الإسلام.. وضدهم هم.

كانت دعوى القومية الطورانية تحز في نفوس العرب المسلمين فينفخ الشياطين في الحزازة لتشتعل. وكان يقال لأولئك العرب المسلمين أنتم أولى بالخلافة من أولئك الطورانيين! فلماذا تسكتون على الظلم؟ لماذا لا تثورون وتستقلوا عن الأتراك؟

وكان عبد الحميد يقظا للعبة كلها ولكن أحوال دولة الخلافة يومئذ وأحوال المسلمين جميعا في العالم الإسلامي. كانت أضعف من أن تصمد للكيد.. فمضى الكيد في سبيله حتى بلغ غايته......

وجرت الأمور في مجراها المقدر في علم الله. ولكن بسبب من غفلة المسلمين التي مكنت الأعداء من تنفيذ مخططاتهم. والله يحذرهم من كتابه المنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

ومع ذلك التحذير فقد كان مسلمون يتولون اليهود في حزب

الإتحاد والترقي، ومسلمون آخرون يتولون النصارى في الجمعيات السرية القائمة باسم العروبة والقومية العربية. ومسلمون آخرون يتولون (لورنس العرب!) ويتبعونه وهو يدعوهم إلى قتال دولة الخلافة التي ظلت تحميهم من الغزو الصليبي قرابة أربعة قرون!........

ولكن أمرا حدث لم يكن على خاطر الصليبيين واليهود... فوجئوا به جميعا مفاجأة لم تكن في الحسبان.. فقد اشترك في القتال فدائيون مسلمون، يحرصون على الموت حرص أعدائهم على الحياة. وحين عركهم اليهود وعرفوا حقيقتهم، كانوا إذا جابهوهم يفرون من مستعمراتهم، تاركين أسلحتهم وذخيرتهم ومئونتهم لينجوا بجلدهم.

كانت المفاجأة من جهتين.. فقد كان الصليبيون واليهود يظنون أن الإسلام كله قد شاخ ولم يعد بوسعه أن يخرج مثل هذه العينات من البشر، وكانت المفاجأة الثانية أنهم ظنوا أن مصر بالذات التي عمل الصليبيون على دك معاقلها الإسلامية منذ وقت مبكر، منذ الحملة الصليبية الفرنسية بقيادة نابليون، لا يمكن أن تخرج هذه العينات الصلبة المستميتة في القتال بروح الجهاد إسلامية خالصة لا يردون بذلك جزاء ولا شكورا.

عندئذ تقرر أمران في وقت واحد..

الأمر الأول: ضرورة القضاء على حركة البعث الإسلامي التي أخرجت مثل هؤلاء المجاهدين.

والأمر الثاني: ضرورة إيجاد بديل من الراية الإسلامية التي أخرجت أولئك المقاتلين وتوشك أن تمتد ظلالها من مصر إلى البلاد العربية الأخرى.

وكان البديل هو (القومية العربية)، يقول جورج كيري - مؤلف كتاب موجز تاريخ الشرق الأوسط -: (إن القومية العربية ولدت في دار المندوب السامي البريطاني!! [١]

وقد ذكرت سابقا مقولة تدل على أن القومية العربية نشأت وترعرعت في الجامعة الأمريكية في بيروت مما يدل على المشاركة الإنشائية في بذر بذرتها الخبيثة من هاتين الدولتين فليتأمل وليتدبر!!!

عمد وقواعد القومية:

يعلي الفكر القومي من شأن رابطة القربى والدم على حساب رابطة الدين، وإذا كان بعض كتاب القومية العربية يسكتون عن الدين، فإن بعضهم الآخر يصر على إبعاده إبعاداً تاماً عن الروابط التي تقوم عليها الأمة، بحجة أن ذلك يمزق الأمة بسبب وجود غير المسلمين فيها ويرون أن رابطة اللغة والجنس أقدر على جمع كلمة العرب من رابطة الدين.

حيث إن أساسها إبعاد الدين الإسلامي عن معترك حياة العرب

(١) مذاهب فكرية معاصرة الأستاذ محمد قطب ص ٥٨١ ـ ٥٨٥ بتصرف.

السياسية، والاجتماعية، والتربوية، والتشريعية فإنها تعد ردة إلى الجاهلية، وضرباً من ضروب الغزو الفكري الذي أصاب العالم الإسلامي، لأنها في حقيقتها صدى للدعوات القومية التي ظهرت في أوروبا.

يصفها سماحة الشيخ ابن باز بأنها:«دعوة جاهلية إلحادية تهدف إلى محاربة الإسلام والتخلص من أحكامه وتعاليمه». ويقول عنها: «وقد أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره بزخرف من القول.. فاعتنقها كثير من العرب من أعداء الإسلام واغتر بها كثير من الأغمار ومن قلدهم من الجهال وفرح بذلك أرباب الإلحاد وخصوم الإسلام في كل مكان». ويقول أيضاً: «هي دعوة باطلة وخطأ عظيم ومكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد سافر للإسلام وأهله»[١]

يرى دعاة الفكر القومي - على اختلاف بينهم في ترتيب مقومات هذا الفكر- أن أهم المقومات التي تقوم عليها القومية العربية هي: اللغة والدم والتاريخ ولأرض والآلام والآمال المشتركة [٢].

ويرون أن العرب أمة واحدة لها مقومات الأمة وأنها تعيش على أرض واحدة هي الوطن العربي الواحد الذي يمتد من الخليج إلى المحيط.

كما يرون أن الحدود بين أجزاء هذا الوطن هي حدود طارئة،

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ج ١ ص ٢٨٥. مرجع سابق
(٢) المرجع السابق ج١ ص ٢٨٣

ينبغي أن تزول وينبغي أن تكون للعرب دولة واحدة، وحكومة واحدة، تقوم على أساس من الفكر العلماني.

يدعو الفكر القومي إلى تحرير الإنسان العربي من الخرافات والغيبيات والأديان كما يزعمون.

لذلك يتبنى شعار: «الدين لله والوطن للجميع». والهدف من هذا الشعار، إقصاء الإسلام عن أن يكون له أي وجود فعلي من ناحية، وجعل أخوة الوطن مقدمة على أخوة الدين من ناحية أخرى.

يرى الفكر القومي أن الأديان و الأقليات والتقاليد المتوارثة عقبات ينبغي التخلص منها من أجل بناء مستقبل الأمة.

يقول عدد من قادة هذا الفكر: نحن عرب قبل عيسى وموسى ومحمد عليهم الصلاة و السلام.

ويقرر الفكر القومي أن الوحدة العربية حقيقة أما الوحدة الإسلامية فهي حلم.

وأن فكرة القومية العربية من التيارات الطبيعية التي تنبع من أغوار الطبيعة الاجتماعية، لا من الآراء الاصطناعية التي يستطيع أن يبدعها الأفراد.

كثيراً ما يتمثل دعاة الفكر القومي بقول الشاعر القروي:

هبوني عيداً يجعل العرب أمة   وسيروا بجثماني على دين برهم

سلام على كفر يوحد بيننا وأهلاً وسهلاً بعده جهنم

يقول بعض دعاة الفكر القومي: إن العبقرية العربية عبرت عن نفسها بأشكال شتى، فمثلاً عبرت ذات مرة عن نفسها بشريعة حمورابي، ومرة أخرى بالشعر الجاهلي، وثالثة بالإسلام.

وقال أحد مشاهيرهم: لقد كان محمد كل العرب، فليكن كل العرب محمداً.

يرى دعاة الفكر القومي أن من الإجرام أن يتخلى العربي عن قوميته، ويتجاوزها إلى الإيمان بفكرة عالمية أو أممية، مع أن إبعاد الإسلام عن معترك حياة العرب ينهي وجودهم.

يقول بعض مفكري القومية العربية: إذا كان لكل عصر نبوته المقدسة، فإن القومية العربية نبوة هذا العصر.

ويقول بعضهم الآخر: إن العروبة هي ديننا نحن العرب المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين، لأنها وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية، ويجب أن نغار عليها كما يغار المسلمون على قرآن النبي والمسيحيون على إنجيل المسيح.

* ويقرر بعضهم الآخر أن المرحلة القومية في حياة الأمة، مرحلة حتمية، وهي آخر مراحل التطور كما أنها أعلى درجات التفكير الإنساني [1].

(١) الموسوعة الميسرة ج ١ ص ٤٥٠ – ٤٥١.

آثار القومية علي العالم الإسلامي:

إن القومية تضيق علي الإنسان عالمه حين تصرفه عن النظرة العالمية الإنسانية، إلي نظرة عرقية، وجزئية جغرافية، ومصالح قومه المادية.

الأمر الذي يدفعها – حال قوتها – إلى الاعتداء على غيرها من القوميات؛ لتوسيع رقعتها وفرض سلطانها.

إن القومية تنبذ ما للإنسان فيه اختيار كالإيمان بالله وما جاء به رسل الله عليهم السلام.

إن فكرة القومية تقوم علي أمور لا خيار للإنسان فيها، من المولد في أرض معينة، والكلام بلغة الأرض والمجتمع الذي ولد فيه، وعلي المصالح المادية البحتة.. الخ.

وبالرغم من الآثار السيئة الناجمة عن نعرة القومية والوطنية، التي بدأت في أوربا، ثم قامت بتصديرها إلي الشرق الإسلامي، لتحارب المسلمين من الداخل، وتزعزع العقيدة في نفوسهم.

ويمكن إيجاز آثار القومية علي العالم الإسلامي فيما يلي:

١ - تمزيق وحدة العالم الإسلامي:

أصبح العالم الإسلامي بعد وحدته، واعتصامه بحبل الله، وترابطه الأخوي، أمة متنافرة، مشتتة، وقوميات ونزعات كثيرة متباينة، ولم يكتف أعداء الإسلام بذلك، بل إنهم بعد فترة من إحياء النزعات

القومية قسموا أرض المسلمين على أساس منها، إلى مجموعات مختلفة[1] وبعد الحرب العالمية الأولى والثانية قسموا العالم الإسلامي إلى دول ودويلات وإمارات وصلت إلى سبعين وطنا، ووضعوا بين كل دولة حدودا جغرافية، وبذلك ضاعت هيبة العالم الإسلامي، وأصبح أعداء الإسلام قادرين على ضرب كل دولة على حدة [2].

٢ - تفريغ القضية السياسية والاجتماعية بوجه عام من المحتوى الإسلامي.

إن تيار فكرة القومية كانت مهمته إقصاء الإسلام، من القضية السياسية [3] والاجتماعية، وإحلال القومية محل الدين، وهذا ما كان يحلم به (لورانس براون) - منفذ السياسات البريطانية في بلادنا العربية آنذاك - إذ يصف ما كان يدور بخلده أثناء تنقله بين معسكرات أبناء الشريف حسين بحثا عن الزعيم العربي فيقول: (وأخذت طول الطريق أفكر في سوريا... وفي الحج، وأتساءل: هل تتغلب القومية ذات يوم

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة ص ١٥٨ نقلا عن عقبات في طريق الإسلام د/ محمد البهي ص٤.

(٢) الغزو الفكري د / علي عبد الحليم ص ١١٠ ، و احذروا الأساليب الحديثة ص ١٥٨ .

(٢) وهذا واضح وظاهر في قضية القدس فبعد أن كانت قضية المسلمين كلهم تقلصت بسبب القومية إلي قضية عربية ثم إلى قضية إقليمية ، ثم إلى قضية حدودية تخص دول الجوار ، ثم إلى شأن داخلي ، ومن ثم غدت دول إسلامية تحالف الدول العربية وتتعاون مع إسرائيل.

على النزعة الدينية؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطني الاعتقاد الديني؟ وبمعنى أوضح، هل تحل المشاكل العليا السياسة مكان الوحي والإلهام، وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني؟... هذا ما كان يجول بخاطري طول الطريق.) [١].

وهذا ما تحقق بالفعل، وأصبحت الأمة التي كانت تستمد وجودها وتشريعاتها من الأصلين الكتاب والسنة، تستمد دساتيرها من المصلحة القومية والسياسية دون ارتباط بمنهج الله وشرعه.

٣ - محبة غير المسلمين والإستنصار بهم على أعداء القومية من المسلمين.

القومية جعلت المسلم يفكر في وطنه قبل عقيدته، وفي جنسه قبل دينه، ويقدم الكافر إذا كان من عنصره أو وطنه على المسلم من عنصر آخر، أو في بلد آخر، ويسمي المسلم أجنبيا، ويتعامل معه معاملة الأجانب [٢].

---

(١) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ١٠٧.

(٢) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا د/ يوسف القرضاوي ص ١٣ ط/ مكتبة وهبة.

* يقول بعض المعاصرين الدكتور مصطفى الفقي :إن المسيحي (النصراني) المصري أخي وأقرب إلي من المسلم الماليزي، أو الأندونيسي أو غيره من البلاد الأخرى ذكر ذلك وسمعته منه مباشرة على شاشة الفضائيات في إحدى البرامج التي استضيف فيها (على قناة الجزيرة).

ومن ثم فقد استبدلوا رابطة الإسلام برابطة القومية، لعزل الشعوب الإسلامية بعضها عن بعض عزلا نهائيا، بحيث تكون صلت بعضها ببعض كصلتها بأي شعب من الشعوب الأخرى التي تدين بالوثنية، أو الماركسية أو غيرها، والتي لم تكن تربطها بها أي رابطة.

٤ - **قطع الصلات بين الشعوب الإسلامية،** وإضعاف روابط الثقافة المشتركة، ولغة القرآن الكريم، والقيم الخلقية، والقضاء علي الأخوة الإسلامية.

٥ - تشجيع الدول الأوربية الكبرى علي ظهور القوميات العربية في صورتها العلمانية؛ لتحقيق مطامعها في احتلال الشرق الإسلامي [(١)].

فقد كان للإنجليز هدف واحد هو إضعاف العصبية الدينية وتمزيق أوصال المسلمين في مستعمراتهم حتى يستطيعوا أن يواجهوهم واحدا واحدا، فالمصريون أحفاد الفراعنة، واللبنانيون أحفاد الفينيقيين، والعراقيون أحفاد الآشوريين، والحجازيون أحفاد العرب، وأحق الناس بالقيام على خلافة الإسلام وذلك إغراء لهم بالإنتفاض على الترك ومساعدة الإنجليز على إسقاط الدولة العثمانية [(٢)]

٦- القوميات التي عصفت بالعالم الإسلامي في العصر الحاضر،

---

(١) انظر: في هذه المعاني المتقدمة (أساليب الغزو الفكري ص ٧٧ – ٧٨ مرجع سابق.

(٢) انظر :الاتجاهات الوطنية ج٢ ص١٤٥ وما بعده .

ليست إلا وليدة النظرة الضيقة للحياة والأحياء، وإن حملت في ظاهرها رغبة أصحابها في أن يكون لهم كيان خاص، ومصلحة خاصة إلا أنها تنطوي علي نزعة تعصبية عرقية عطنة، تتجاهل أبسط المسلمات عند الناس وهي أن الناس جميعا لآدم عليه السلام.

٧ - القومية المعاصرة وسيلة من وسائل الغزو الفكري للإسلام والمسلمين، وهي تعني عندهم: رفع شعار وطني يتمكن به جمع من الناس من أن يتوحدوا عليه في ظل حكومة مركزية، كما فعل نابليون عندما استحدثا القومية الإيطالية، والقومية الألمانية [١].

٨- القومية في حد ذاتها فكرة رجعية متخلفة، فقد عرفتها أوربا منذ قرون ولفظتها، لكن أعداء الأمة وجدوا قيها شعارا يثير العصبية... وهكذا أثيرت القوميات العربية داخل الأمة الإسلامية.

٩ - كانت القومية العربية وما زالت شعارا بديلا عن الشعار الإسلامي، الذي تجمعت له جموع كثيرة لرفع الراية الإسلامية، فكانت القومية العربية صرفا للشعوب عن الراية الإسلامية.

موقف الإسلام من الدعوة إلي القومية:

الدعوة إلى القومية العربية وغيرها من القوميات، دعوة باطلة وخطأ عظيم فادح ومنكر ظاهر وكيد سافر للإسلام وأهله.

---

(١) انظر الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام د / علي جريشة ص ١٥٦. ومذاهب فكرية معاصرة ٥٦٣ ـ ٥٦٤.

يقول الأستاذ محمد قطب: (إن الإسلام لا يعرف تلك الدعاوي الزائفة التي روجها أعداء الإسلام بغية القضاء عليه، وتشربها (المسلمون) في غفلتهم، غافلين عما فيها من السموم.

إن الإسلام لا يغير انتماء الناس إلى أرضهم ولا شعوبهم ولا قبائلهم، لأن هذا أمر مادي حسي واقع لا سبيل إلى تغييره، فالذي يولد في الأرض المصرية مصري بحكم مولده، والذي يولد في الأرض العراقية عراقي بحكم مولده، والذي يولد في الأرض الباكستانية باكستاني بحكم مولده.. وهكذا.

ولكن الإسلام ينكر أن تكون صلة التجمع شيئا غير الإسلام! غير العقيدة الصحيحة في الله! لا الدم ولا الأرض ولا اللغة ولا (المصالح) الأرضية.قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

وانظر إلى قصة نوح مع ابنه ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود:٤٢].

لقد وعد الله نوحا أن ينجو أهله معه، إلا من سبق عليه القول: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠].

فلما رأى ابنه في معزل ناداه ليركب معه سفينة النجاة.. ولكنه عصى وقال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء.. وكانت عاقبته أن غرق مع الهالكين.

ولما قضى الأمر ونجا من نجا وهلك من هلك راح نوح - في مرارة الفقد التي تشوب فرحة النحاة - يناجي ربه، ويسأل عن تفسير ما حدث: لقد وعده الله بنجاة أهله، وابنه من أهله، ومع ذلك كان من الهالكين!

وكان الرد الرباني (إنه ليس من أهلك! إنه عمل غير صالح).

ذلك أن الآصرة الحقيقية التي تجعله من أهلك ليست هي رابطة الدم التجمع بينه وبينك. إنما هي رابطة العقيدة. وقد رفض الابن أن يكون على العقيدة الصحيحة فانفصم ما بينه وبين أبيه من رباط. لأنه عمل غير صالح)! **ذلك هو ميزان الإسلام.**

وقد مرت بما الآية التي تجعل الآباء والأبناء والأخوان والأزواج والعشيرة، والأموال والتجارة والأرض وهي مقومات القومية كلها في كفة، وفي الكفة الأخرى حب الله ورسوله والجهاد في سبيل الله.. والمفاصلة الكاملة بين هذه وتلك.

وليس معنى ذلك أن الإسلام يحرم كل تلك الروابط!

كلا! إنما يجيزها كلها حين تقع تحت رابطة العقيدة وداخلها:

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [لأنفال: من الآية٧٥].

أي حين يكونون كلهم مؤمنين، أما حين تكون تلك الروابط حاجزا يحجز بين المؤمن والمؤمن بسبب رباط الدم أو اللغة أو الأرض أو المصالح.. فهذه التي قال فيها رسول الله ﷺ: **«دعوها فإنها منتنه»**(١).

فكيف إذا كانت تلك القومية تقول لك في صراحة إن المشرك الذي يشاركك في قوميتك أقرب إليك من المسلم الذي ينتمي إلى قومية أخرى" هذه.. ما ميزانها في كتاب الله؟! (٢)

وإن كان الغرب فد جر علينا ويلات هذه القومية فإن مبادئ الإسلام ومبادئ الغرب متباينة كليا في باب القومية، فالذي يعتبره الغربيون مصدر الضعف والخذلان عند الأمة الإسلامية، يعد مصدر قوة واعتزاز كما يقول شاعر الإسلام محمد إقبال: (لا تقس أمم الغرب علي أمتك، فإن أمة الرسول الهاشمي ﷺ فريدة في تركيبها، أولئك إنما يعتقدون باجتماعاتهم علي الوطن والنسل، ولكن إنما يستحكم اجتماعك أيها المسلم بقوة الدين...)(٣).

إن الإسلام يحارب القومية باعتبارها عصبية جاهلية، أنكرها وحذر

---

(١) متفق عليه صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله تعالى: (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ......) وصحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة ص ٥٨٧ ـ ٥٨٨.

(٣) انظر الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام الشيخ أحمد بشير ص ٤٦٥.

منها، وسد منافذها، فلا بقاء للدين العالمي والأمة الواحدة مع هذه العصبية المقوتة.

إن الإسلام يرفض القومية بكل صورها، وذلك من عدة وجوه: (١)

الوجه الأول: - إن الدعوة إلى القومية العربية تفرّق بين المسلمين، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي، وتفرق بين العرب أنفسهم، لأنهم كلهم ليسوا يرتضونها، وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم، وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزاباً فكرة باطلة تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه، وذلك لأنه يدعوا إلى الاجتماع والوئام، والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى كما يدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢: ١٠٣]. وقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: من الآية٦٢]،

وقال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم:٣١].

كذلك وكما بينت سابقاً فإن هدف القومية غير هدف الإسلام وإن

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ج ١ ص- ٣٠٧ بتصرف مرجع سابق

مقاصدها تخالف مقاصد الإسلام والدليل على ذلك أن الدعوة إلى القومية العربية صدرن إلينا من أعدائنا الغربيين ليكيدوا لنا بها نحن المسلمين ولفصل بعضنا عن بعض وتحطيم كياننا وتفريق شملنا على نحو قاعدتهم المشؤومة: (فرق تسد) وذكر كثير من مؤرخي الدعوة إلى القومية العربية.

ومنهم مؤلف الموسوعة العربية: أن أول من دعا إلى القومية العربية هم الغربيون على أيدي بعثات التبشير في سوريا ليفصلوا الترك عن العرب ويفرقوا بين المسلمين، فهل تظن عزيزي القارئ أن خصومنا وأعداءنا يسعون في مصالحنا بابتداعهم هذه الدعوة وعقد المؤتمرات لها كان أول مؤتمر عقد في باريس عام ١٩١٠م) وابتعاث المبشرين لها..؟

قد يثور التساؤل لدى البعض ما ا لمصلحة التي سوف يجنيها الغرب من الدعوة إلى القومية العربية خصوصاً إذا ما علمنا أن الغرب يزعجه أي تجمع ويقلق راحته أي تكتل ضد مصلحته..؟

أقول وكما هو معروف لدى العقلاء أنه إذا كان لابد من أحد الضررين فارتكاب أهونهما أولى حذراً من الضرر الأكبر.. وبما أن خوف الغرب من التكتل حول الإسلام أكبر وأعظم كما هو معلوم لدى الجميع.. ولذلك رضي بالدعوة إلى القومية العربية وحفز العرب إليها ليتمكن من شغلهم بها عن الإسلام وليقطع بها صلتهم بالله سبحانه وتعالى لأنهم يعلمون علم اليقين أنه ليس للمسلمين من نصر إلا بتمسكهم بإسلامهم الصحيح..وكما قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ

مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج٤٠:٤١].

ويقول أبو الحسن الندوي في رسالته المشهورة: (اسمعوها مني صريحة: أيها العرب): (فمن المؤسف المحزن المخجل أن يقوم في هذا الوقت في العالم العربي، رجال يدعون إلى القومية العربية المجردة من العقيدة والرسالة، وإلى قطع الصلة عن أعظم نبي عرفه تاريخ الإيمان، وعن أقوى شخصية ظهرت في العالم، وعن امتن رابطة روحية تجمع بين الأمم والأفراد والأشتات، إنها جريمة قومية تبز جميع الجرائم القومية، التي سجلها تاريخ هذه الأمة، وإنها حركة هدم وتخريب، تفوق جميع الحركات الهدامة المعروفة في التاريخ، وإنها خطوة حاسمة مشؤومة، في سبيل الدمار القومي والانتحار الاجتماعي) [١].

الوجه الثاني:

إن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذّر منها ولا ريب أن الدعوة إلى القومية من أمر الجاهلية لأنها دعوة إلى غير الإسلام ومناصرة لغير الحق..وكما قال الشيخ ابن تيميه رحمه الله: كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية بل لمّا اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري: يا للمهاجرين وقال الأنصاري يا للأنصار، قال النبي ﷺ:

---

(١٧١) انظر : مجموع فتاوى ج١ ص ٢٨٨ نقلا عن (اسمعوها مني صريحة أيها العرب) ص ٢٧ ــ ٢٨ .

«أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم»(١)

وغضب لذلك غضباً شديداً. قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ [الفتح:٢٦].

وفي سنن أبي داود، عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»(٢). ويقول النبي ﷺ فيما رواه الترمذي وأبو داود: «لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه إن الله قد أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم، وآدم من تراب»(٣).

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد»(٤)

---

(١) تفسير الطبري ج ٤ ص ٢٢ وابن كثير ج ١ ص ٣٩٠ .

(٢) سنن أبي داود كتاب الآداب باب في التفاخر بالأحساب.

(٣) سنن أبي داود كتاب الآداب باب في التفاخر بالأحساب. ومسند الأمام أحمد حديث رقم ١٠٧٩٢.

(٤) مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

ولا ريب أن دعاة القومية يدعون إلى العصبية ويغضبون لعصبية ويقاتلون على عصبية ولا ريب أيضاً أن القومية العربية تدعو إلي البغي والفخر لأن القومية العربية ليست ديناً سماوياً يمنع أتباعه من البغي والفخر وإنما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها وأتباعها على الفخر بها والتعصب لها على من نالها بشيء. كما كان الحال في الجاهلية حيث كانت سنتهم الفخر بالأنساب والأحساب والأسلاف..، والإسلام غير ذلك تماماً حيث أنه يدعونا إلى التواضع والتقوى والتحاب في الله وعدم التفاضل بين جنس وآخر حيث قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قد أذهب الله عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي والناس بنو آدم وآدم من تراب، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»[١].

من ذلك ما ثبت في الحديث الصحيح عن الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: **«إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس أن يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن»** فذكرها ثم قال النبي ﷺ: **«وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن: السمع والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإنه من فارق الجماعة**

---

(١٧٦) سنن الترمذي كتاب المناقب عن رسول الله ﷺباب في فضل اليمن ، وسنن أبي داود تاب الأدب باب في التفاخر بالأنساب ، ومسند الإمام أحمد حديث رقم ١٠٧٩١ج٢ ص٥٣٣ .

قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جُثى جهنم» قيل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: **«وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوى الله سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله»**[1].

ولعمري أن هذا الحديث الصحيح من أوضح الأحاديث وأبينها في إبطال الدعوة إلى القومية العربية واعتبارها دعوة جاهلية يستحق دعاتها إن يكونوا من جُثى جهنم وإن صاموا وصلوا وزعموا أنهم مسلمون. فياله من وعيد شديد وتهديد أكيد وتحذير ينذر كل مسلم من دعوات الجاهلية، والركون إلى معتنقيها وإن زخرفوها بالمقالات

السحرية والخطب الرنانة والخيالات الواسعة التي لا أساس لها من الحقيقة ولا شاهد لها من الواقع، وإنما هو التلبيس والخداع والتقليد الأعمى الذي ينتهي بأهله إلى أسوأ العواقب.

الوجه الثالث: -

من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية: هو أنها سلم إلى موالاة كفار العرب وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين واتخاذهم بطانة والاستنصار بهم... ومعلوم من هذا الفساد الكبير والمخالفة لنصوص القرآن الكريم والسنة الدالة على وجوب بغض

---

(١) سنن الترمذي كتاب :الأمثال عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة .

الكافرين من العرب وغيرهم ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة..استنادا إلى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

سبحان الله ما أصدق قوله وأوضح بيانه، هؤلاء القوميون يدعون إلى التكتل حول القومية العربية مسلمها وكافرها، يقولون: نخشى إن تصيبنا دائرة، نخشى إن يعود الاستعمار وأن يطمع الغرب فينا.. نخشى إن تسلب ثرواتنا بأيدي أعدائنا، فيوالون لأجل ذلك كل عربي من يهود ونصارى ومجوس ووثنيين وملا حدة وغيرهم تحت لواء القومية العربية، ويقولون: إن نظامها لا يفرق بين عربي وعربي وإن تفرقت أو اختلفت أديانهم، فهل هذا إلا مصادمة لكتاب الله و مخالفة لشرع الله وتعدٍ لحدود الله وموالاة ومعاداة وحب وبغض على غير دين الله؟..، فما أعظم ذلك من باطل وما سواه من منهج..القرآن يدعو إلى موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين أينما كانوا وكيفما كانوا، وشرع القومية العربية يأبى ذلك ويرفضه ويخالفه قال تعالى: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ

﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١].

ونظام القومية يقول: كلّهم أولياء مسلمهم وكافرهم.. والله تعالى يقول: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، وشرع القومية وشرع دعاتها يقول: أقصوا الدين عن القومية، وافصلوا الدين عن الدولة، وتكتلوا حول أنفسكم وقوميتكم حتى تدركوا مصالحكم وتستردوا أمجادكم، وكأن الإسلام وقف في طريقهم وحال بينهم وبين أمجادهم..؟ هذا والله هو الجهل والتلبيس وعكس القضية وإنه لبهتان عظيم..وكيف يجوز في عقل عاقل أن يكون أبو جهل وأبو لهب وعقبة ابن أبي معيط والنضر بن الحارث وأضرابهم من صناديد الكفار في عهد النبي ﷺ: وبعده إلى يومنا هذا إخوانا وأولياء لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة ومن سلك نهجهم وسبيلهم من العرب إلى يومنا هذا..؟

هذا والله أبطل الباطل وأعظم الجهل.. وشرع القومية ونظامها يوجب هذا ويقتضيه وإن أنكره البعض من دعاتها جهلاً أو تجاهلاً و تلبيسا..، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الوجه الرابع:

من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية إن يقال:

إن الدعوة إلى القومية العربية والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولابد إلى رفض حكم القرآن، لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاماً وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام.. وقد صرح بذلك كثير منهم..، وهذا هو الفساد العظيم والكفر المستبين والردة السافرة، كما قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء:٦٥]، وقال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: من الآية٤٤].

فالواجب على زعماء القومية العربية ودعاتها أن يحاسبوا أنفسهم ويتهموا رأيهم وأن يفكروا في نتائج دعوتهم المشؤومة وغايتها الوخيمة، وأن يكرسوا جهودهم ويسخروا طاقاتهم للدعوة إلى الإسلام ونشر محاسنه والتمسك بتعاليمه والدعوة إلى تحكيمه بدلاً من الدعوة إلى القومية أو الوطنية.

ويبن العلامة الكبير والداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي رحمه الله خطورة القومية ومدى كونها إلحادا تحت عنوان (لا إلحاد بيننا) حيث يقول مستفهما: (ما هؤلاء الناس؟ إنهم ليسوا عربا ولا عجما ولا روس ولا أمريكان!!

إنهم مسخ غريب الأطوار صفيق الصياح، بليت به هذه البلاد إثر

ما وضعه الاستعمار بها وترك بذوره في مشاعرها وأفكارها، فهم - كما جاء في الحديث - من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. بيد أنهم عدو لتاريخنا وحضارتنا وعبء على كفاحنا ونهضتنا، وعون للحاقدين على ديننا والضانين بحق الحياة له ولمن اعتنقه.

إن هؤلاء الناس الذين برزوا فجأة، وملأت ضجتهم الأودية كما تملأ الضفادع بنقيقها أكناف الليل، يجب أن يمزق النقاب عن سريرتهم، وأن تعرفهم هذه الأمة على حقيقتهم، حتى لا يروج لهم خداع، ولا ينطلي لهم زور، إن صفوف الذين يلبسون مسوح العروبة، ويندسون خلال صفوف المجاهدين، ويزعمون أنهم مبشرون بالقومية العربية ورافعون لألويتها، وفي الوقت نفسه ينسحبون من تقاليد العروبة، ويهاجمون أجل ما عرفت به، ويبعثرون العوائق في طريق الإيمان ورسالته.

إن هؤلاء الناس ينبغي أن يماط اللثام عن وجوههم الكالحة، وأن تلقى الأضواء على وظيفتهم التي يسرها الاستعمار لهم، ووقف بعيدا يرقب نتائجها المرة، وما نتائجها إلا الدمار المنشود لرسالة القرآن، وصاحبها العظيم محمد بن عبد الله ﷺ، لقد قرأنا ما يكتبون، وسمعنا ما يقولون، ولم يعوزنا الذكاء لاستبانة غاياتهم، فهم ملحدون مجاهرون بالكفر. يقولون في صراحة: إن الإسلام ليس إلا نهضة عربية، فاز بها هذا الجنس العظيم في القرون الوسطى، واستطاع في فورته العارمة أن يجتاح العالم بقيادة رجل عبقري، هو الزعيم الكبير: محمدﷺ:أي أن هذا

الدين الجليل، نبت من الأرض، ولم ينزل من السماء، وأنه انطلاقة شعب طامح فاتح، وليس هداية مثالية فدائية، جاءت من عند الله لتنقذ العرب من جاهلية طامسة، كانوا بها في مؤخرة البشر، إلى حنيفية سمحة رفعت خسيستهم، ثم انتشر شعاعها بعد في أنحاء الأرض، كما تنتشر الأضواء في عرض الأفق لدى الشروق.

والفضل في ذلك كله لله وحده، الذي اصطفى محمدا، وامتن عليه بالهدى والحق، بعد أن قال له: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: من الآية٥٢] وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[النساء: ١١٣].

فأي زحف عربي هنالك؟ وأي عبقرية أنشأت من عندها هذا الغيث الممرع لأهل الأرض؟ إن الزعم بأن الإسلام (فورة عربية) أكذوبة كبرى وأضلولة شائنة، وإن هذا القول ليس تكذيبا للإسلام فقط، بل دعوة خطيرة إلى تكذيب الديانات كلها، وإلى إشاعة الكفر والفسوق والعصيان في أنحاء الأرض. والغريب أن هؤلاء الناس يخاصمون الإسلام بعنف، ويحاربون أمته بجبروت، ويهادنون الأديان (الرسالات) الأخرى من سماوية وأرضية، كأن الإسلام هو العدو

الذي كلفوا باستئصاله وحده، لا بل هو العقبة الفذة التي وضعت المعاول في أيديهم لإهالتها ترابا، أجل، وهل للاستعمار عدو في هذه البلاد إلا الإسلام؟ إنه مصدر المقاومة العنيدة، وروح الكفاح الباسل الذي أعي المهاجمين وأحبط مؤامراتهم، ومن ثم فعلى الاستعمار أن ينسج خيوطه حوله ليقتله، ويحول بينه وبين الحياة الكريمة، ولقد ابتدع القوميات الضيقة واستجباها بشتى الأساليب، لينال من كيان هذا الدين، فلما سقط أمام الإسلام في المعركة، دس أتباعه تحت لواء القومية العربية، وزودهم بضروب من الادعاء، ليزحموا العرب المخلصين في هذا الميدان، ولينالوا من الإسلام بطريقة أخرى، وتفسير القومية العربية هذا التفسير الكفور الكنود، هو حرب آخر ضد الإسلام، وإنه لجدير أن يتسمى هؤلاء بأتباع القومية العبرية لا العربية، أليسوا يعملون لمصلحة الاستعمار وإسرائيل، ولقد مرت أربعة عشر قرنا على اشتباك العروبة بالإسلام، أو بتعبيرنا نحن أهل الإيمان: على تشريف الله العرب بحمل هذه الأمانة وإبلاغها للناس.

ونظرة إلى البعيد تعرفنا بسهولة أن العرب مرت عليهم أدهار قبل الإسلام، لم يكونوا فيها شيئا مذكورا، ثم جاء هذا الدين فدخلوا التاريخ به، وطار صيتهم تحت رايته، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤].

ثم أخطأ العرب، فظنوا أن هذا الدين العالمي الذي نزلت فيهم آياته، يمنحهم امتيازا خاصا، ويجعلهم عنصرا أرقى من سائر الأجناس،

ونشأ عن هذا الخطأ رد الفعل الذي لابد منه، فقامت الشعوب الأخرى تدافع عن قيمة دمائها وكرامة عنصرها، وهذه الأغلاط المتبادلة علتها حنين البشر إلى الجاهلية، واستثقالهم مؤنة السعي لتحصيل الكمال الإنساني، فإذا عز على شخص تافه أن يكون تقيا ينسبه عمله إلى المجد والعلا، ذهب ينتحل نسبا آخر إلى أسرة أو وطن أو جنس، ليرتفع به دون جهد، وتلك كلها عصبيات باطلة ونعات نازلة، ولا محل لها في دين، ولا وزن لها عند رب العالمين. ولكن المهم أن العرب الأولين لما أرادوا المفاخرة والتميز كان الإسلام متكأهم ومعقد فخرهم، فبأي شيء يملأون أفواههم إذا لم يذكروا الإسلام؟ إن وطابهم خال وتاريخهم صفر، حتى جاء الأفاكون في هذا الزمان بالبدعة التي لم يسمع بها إنسان، فإذا العروبة في نظرهم يجب أن تتجرد من الإيمان، وزعموا -قبحهم الله- أنها بالانسلاخ عن الدين تسموا وتسير، بل إن أحد الكتاب من هذه العصابة وجد الوجه الذي يطالع به الناس ليقول: إن الإسلام جنى على العروبة، وإن اللغة العربية قد انتشرت أبعد مما انتشر الإسلام، وإن الإسلام -لأنه عالمي- ضار بالقومية العربية، وظاهر أن هذا الكلام يقطع النظر عن بطلانه، إنما يروج لصالح الاستعمار الغربي منه والشرقي على السواء، وان قائله يخدم أهداف الغزاة الذين عسكرت جيوشهم في بعض أقطار العروبة وأنزلت بها الهون، ووقفت على حدود البعض الآخر تتربص به الدوائر.

وكاتب آخر من هذه العصابة يطلب من بإلحاح: أن ننسى التاريخ؛

لأنه لا يضم إلا رفات الموتى، وأن نتطلع إلى المستقبل فحسب. ونسي هذا الغر أن اليهود في كبد الشرق الأوسط، أقاموا دولتهم بإمداد من التاريخ الموحى، وأنهم جعلوا اسم إسرائيل علما عليها، إنه حلال للناس جميعا أن يستصحبوا تاريخهم في كفاحهم، أما نحن المسلمين فحرام علينا أن نذكر فصلا من هذا التاريخ، وأن نستوحي منه عونا في جهاد وأملا في امتداد، إنها قومية عبرية لا عربية، تلك التي يبشر الملحدون وكارهوا الإسلام، ولقد عرف الأولون والآخرون أننا نحن المسلمين أحنى الناس على العروبة وأوصلهم لمجدها، وأخلصهم لقضاياها، وأن هؤلاء القوميين لا خير فيهم، بل إنهم مصدر شر طويل وأذى ثقيل. (١)



(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة الشيخ محمد الغزالي ٢٥٤ وما بعدها ط/ دار الكتب الإسلامية الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

المطلب الرابع
طريقة الصهيونية



توطئة

لا جرم أن الصهيونية وهي الطريقة الرابعة من طرق الغزو الفكري للعالم الإسلامي، أخطر المذاهب الدينية والسياسية التي منيت بها الأمم والشعوب، لأنها تموج صدورها بحقد طافح على الناس جميعا، وتتأجج جوانبها بوحر الغل المحتدم، ومن ثم تفرض على غيرها قهرا سياسيا، وقسرا فكريا، وتمايزا عنصريا، واحتكارا للقوى الفكرية والمادية في ربوع الدنيا، وأنها توقدوا نار الحرب بين الشعوب، وتنزغ الشحناء والبغضاء بين الأمم، وتسعى في الأرض فسادا، فلا ترى لنفسها راحة أو سعادة إلا على أنقاض الآخرين، ولا تستريح إلا بالدس والكيد، والتآمر والبغي، والتخريب والانتقام!!

إنها تستغشي القيم الأخلاقية التي تواضعت عليها الرسالات السماوية، والتقاليد العرفية، والفطرة الإنسانية على السواء، فهي ليست قاصرة على افتعال دولة لليهود على أرض فلسطين، وإنما هي تستهدف سيادة العالم كله، واسترقاق شعوبه كافة، وإخضاع الناس جميعا لنير اليهود وشرائعهم المحرفة.

إن الصهيونية في جوهرها ومناطها تمثل الحقد اليهودي الموجه إلى

الناس جميعا من قديم، والذي لم تفلت منه أمة من الأمم. إنها عقيدة دينية متطرفة، يذعن لها أشياعها، يسوقهم التعصب والغرور العنصري قسرا، بلا وعي ولا دراية.

تعريفها:

تتمة للبحث وإتماما للفائدة يجدر بي أن اعرف بالمصطلح الصهيوني ثم أعرف ببعض المصطلحات المقاربة لها كيهودي، عبري، وإسرائيلي.

الصهيونية:

كلمة أخذها المفكر اليهودي «ناثان برناوم» من كلمة «صهيون» لتدل على الحركة الهادفة إلى تجميع «الشعب اليهودي» في أرض فلسطين. أي أنها اشتقت من اسم (جبل صهيون).

فهي منظمة يهودية تنفيذية، مهمتها تنفيذ المخططات المرسومة لإعادة مجد بني إسرائيل -اليهود- وبناء هيكل سليمان، ثم إقامة مملكة إسرائيل ثم السيطرة من خلالها على العالم تحت ملك (ملك يهوذا) المنتظر. سميت بذلك: نسبة إلى (صهيون) جبل يقع جنوب بيت المقدس يقدسه اليهود.

أوهي حركة سياسية عنصرية ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله. [١]

---

(١) انظر : الموسوعة الميسرة ج١ ص ٥٢١. وموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية د/ عبد الوهاب المسيري.

ويعتقد اليهود أن المسيح المخلص سيأتي في آخر الأيام ليعود بشعبه إلى أرض الميعاد ويحكم العالم من جبل صهيون وقد حول الصهيونيون هذا المعتقد الديني إلى برنامج سياسي، كما حولوا الشعارات والرموز الدينية إلى شعارات ورموز دنيوية سياسية، ورغم تنوع المدارس الصهيونية (يمينية ويسارية، متدينة، وملحدة، واشتراكية ورأسمالية) ظلت المقولة الأساسية التي تستند إليها كل من التيارات الصهيونية هي مقولة 'الشعب اليهودي' أي الإيمان بأن الأقليات اليهودية في العالم لا تشكل أمة متكاملة توجد في الشتات أو المنفى بعيدة عن وطنها الحقيقي: أرض الميعاد أو صهيون، أي فلسطين.

ويعتقد الصهيونيون أنه حينما كان الشعب اليهودي غير موجود في وطنه بل هو مشتت في الخارج فإنه يعاني من صفوف التفرقة العنصرية، ويمارس إحساسا عميقا بالاغتراب عن الذات اليهودية الحقيقة، وبالتالي لا يمكن حل المسألة اليهودية ببعديها الاجتماعي والنفسي، إلا عن طريق الاستيطان في فلسطين.[١]

يهودي:

لفظ (يهودي) إما مشتق من (هاد) إذا تاب ورجع إلى الحق[٢] فقد

---

(١) انظر: قاموس المصطلحات الصهيونية ص١٢ـ ١٤ الهيئة العامة للاستعلامات مركز المعلومات الوطني الفلسطيني / موقع على الانترنت

(٢) مختار الصحاح للرازي ص٧٢٦ ط/ ١٣٩٦هـ ١٩٥٠ م .

حكى القرآن الكريم دعاء نبي الله موسى لقومه التائبين عن عبادتهم للعجل في قوله تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦]. أي رجعنا عن فعلنا وتبنا من ذنبنا. وعلى ذلك يكون لفظ (يهودي) لفظا عربيا.

وإما أن يكون اللفظ (مشتقا ومأخوذا من (يهوذا)، وهو اسم أحد أبناء نبي الله (يعقوب) عليه السلام، ومن المقربين إليه، ومن ثم يكون الاسم (اليهود) معربا؛ لأنه منسوب إلى اسم أعجمي هو (يهوذا) [(١)].

إسرائيل:

تنسب تسمية «إسرائيل» إلى سيدنا يعقوب، حيث ترد في التوراة قصة مفادها أنه خاض عراكاً ضد رجل حتى مطلع الفجر عند جدول صغير في منطقة الأردن يدعى «يبوق»، ولما رأى الرجل أنه لا يقدر عليه، طلب منه أن يطلقه، فقال له لا أطلقك حتى تباركني، فباركه وقال له «لن يدعى أسمك يعقوب من بعد، بل إسرائيل، لأنك صارعت الله والناس وغلبت»[(٢)].

ولفظة إسرائيل مكونة من كلمتين ساميتين قديمتين هما: «إسر بمعني

---

(١) مقارنة الأديان د/ عوض الله حجازي ص٧٧ ط/ ٣، دار الطباعة المحمدية ١٩٨٦م

(٢) (سفر التكوين ٢٣:٢٠ وما بعدها) .

غلب،أو (عبد) و«إيل» أي الاله أو الله، وقد أصبحت هذه التسمية مصدر فخر من الناحية القومية لبني إسرائيل وأصبحوا ينسبون أنفسهم لها فيقولون: «بيت إسرائيل» أو «آل إسرائيل» أو «بني إسرائيل»، كثيراً ما يختصرون التعبير فيقولون «إسرائيل» فقط كما رأينا في مأثور التلمود والاسم العبري لفلسطين هو «إيرتس يسرائيل» أي «أرض إسرائيل»[1].

(١) انظر : قاموس المصطلحات الصهيونية ص ١٥ـ ١٦. وموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية. وبالرغم من أن تيودور هرتزل زعيم الصهيونية السياسية، ورئيس المؤتمر الصهيوني العالمي الأول الذي عقد في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧، لم يتردد في تسمية كتابه المتضمن لدعوته هذه «دولة اليهود» فإن هذه الدعوة الصهيونية آثرت عند الكتابة عن فلسطين أن تسميها «أرض إسرائيل»، حرصاً على تأكيد انتماء هذه الأرض إلى من يزعمون أنهم أسلافهم الأوائل، وهم أبناء يعقوب، أو «بنو إسرائيل».

وعندما أعلنت الصهيونية قيام دولتها في فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨، أطلقت عليها أسم «إسرائيل» وطبع هذا الاسم في الأعداد الأولى من «الجريدة الرسمية» في رأس صحيفة تدعى «إسرائيل» ولكن بعد أن قامت موجة من النقد تجاه هذه التسمية قامت الحكومة الإسرائيلية بتغيير الاسم إلى «دولة إسرائيل» وإن كان الشائع هو استخدام الاسم المختصر في جميع أجهزة الإعلام الإسرائيلية.

وقد فضل الصهاينة استخدام هذا الاسم «دولة إسرائيل» لدولتهم، بدلاً من الاسم الذي كان قد اختاره هرتسل وهو «دولة اليهود» لأسباب نذكر منها:

١- إيجاد تناسق بين اسم الدولة، والاسم العبري لفلسطين، وهو «أرض إسرائيل».

٢- إيثار الصفة العنصرية الكافية في اسم إسرائيل على الصفة الدينية في لفظة اليهود. =

والخلاصة أن الإسرائيلي وفق هذا المفهوم هو أولا وأخيرا اليهودي المقيم في إسرائيل واليهودي المقيم خارج إسرائيل أيضا، بشرط أن يكون صهيونياً متمسكاً بالولاء لإسرائيل، ومن هنا اكتسبت لفظة «إسرائيل» في المصطلح السياسي المعاصر دلالة مختلفة تماماً عن الإسرائيلي قبل الصهيونية، والإسرائيلي في بداوة العبريين الأولى. وقد تجدر الإشارة إلى عدم الخلط في إطار تحديد مفاهيم هذه الاصطلاحات بين اصطلاحات مثل «دولة إسرائيل» و «أرض إسرائيل».

إن «دولة إسرائيل» هي اصطلاح سياسي محدد، بينما «أرض إسرائيل» هي اصطلاح جغرافي فدولة إسرائيل يمكن أن تمتد على كل «أرض إسرائيل» أو على جزء منها، أو حتى على أجزاء ليست تابعة

=٣- عدم الرغبة في التذكير بالحدود القديمة لمملكة يهود البائدة، التي لم تكن تشمل إلا القسم الجنوبي من فلسطين من دون ساحل البحر، مما يمثل قيداً تاريخيا للمطامع التوسعية الاستعمارية للصهاينة الذين يريدون أن يضعوا تحت قبضتهم أوسع رقعة ممكنة من الوطن العربي.

وقد خلقت هذه التسمية عدة مشاكل أمام المشرعين الصهاينة، حيث انتقلت صفة الإسرائيلي من الشعب (وهي صفة مذكرة في العبرية) إلى الدولة (وهي صفة مؤنثة في العبرية)، وهو الانتقال الذي أدى إلى انطباق هذه الصفة على كل من يقيم داخل إسرائيل من العرب والمسلمين والمسيحيين وأرغم السلطات الإسرائيلية على اعتماد هؤلاء العرب المقيمين فيها في عداد المواطنين الذي يتمتعون بالجنسية الإسرائيلية.

وقد أصبح اليهودي المقيم خارج إسرائيل، وفقاً لقانون العودة، الصادرة في ٥ يوليو ١٩٥٠، هو الآخر «إسرائيليا».

«لأرض إسرائيل» (مثل شرم الشيخ والجولان على سبيل المثال)، ودولة إسرائيل هي الإطار الحاسم بالنسبة للمبدأ الصهيوني. (١)

عبري [عبراني]:

اختلف العلماء والباحثون حول أصل مصطلح «عبري»، وظهرت تفسيرات ونظريات كثيرة حول مدلول هذا المصطلح سواء من الناحية التاريخية أو الاجتماعية أو العرقية أو اللغوية

ويمكن أن نجمل الآراء التي حاولت تفسير هذا المصطلح فيما يلي:

١- رأي يربط بين المصطلح «عبري» وبين واحد من الأجداد القدامى للساميين، وهو عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام، وفيما عدا هذه الإشارة فإنه لا توجد أي إشارة أخرى إلى شخصية عابر لا بالنسب ولا بالحديث عن أي دور تاريخي له.

٢- رأي يرى أن التسمية «عبري» التي وصف بها إبراهيم «إبراهيم العبري» مشتقة من الفعل الثلاثي العبري «عبر» بمعني عبر النهر في إشارة إلى عبور إبراهيم ومن معه لنهر الفرات بعد أن هاجروا من مدينة أور الكلدانية، أو إلى عبورهم لنهر الأردن إلى الضفة الشرقية.

٣- رأي يرى أن التسمية «عبري» التي وصف بها إبراهيم «إبراهيم عبري» مشتقة من الفعل الثلاثي «عبر» في معني آخر يدل على قطع

---

(١) المرجع السابق. وموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية .

مرحلة من الطريق أو التنقل والترحال، وهو مبدأ خص ما يوصف به سكان الصحراء من البدو، ومعنى هذا أن «إبراهيم العبري» هو «إبراهيم المتنقل- إبراهيم العابر»، وهذا الرأي له سند في معنى الكلمة بالعربية وهو التنقل والمرور أو القطع من مكان لآخر.

٤- رأي آخر يرى أن أصل الكلمة هو كلمة «خابيرو» Habiri وهي قبائل ظهرت في فترة معاصرة لظهور العبريين، وكانت تغزو فلسطين وتتوغل فيها من ناحية الصحراء في بلاد خاضعة للنفوذ المصري، وورد ذكرهم في رسائل أمراء فلسطين الكنعانيين إلى عزيز مصر ولم يرد ذكر هؤلاء «الخابيرو» أو «العافيرو» بعد ذلك، بينما ظهر الاسم «عبري» ولكن أكثر العلماء يتحفظ في تقرير أن العبري والخابيرو من أصل واحد، إذ يشيرون إلى أن «عبري» هي صفة تدل على النسب والانتماء بوجود ياء النسب في آخرها، بينما «الخابيرو» لا تعني غير المزاملة والمرافقة وتدل على مجموعة من الناس تقوم بعمل واحد، أو تقيم في إقليم واحد، دون أن تنسب بالضرورة إلى أصل واحد.

٥- رأي يرى أن هذا المصطلح ذو مغزى طبقي اجتماعي ويستند هذا الرأي إلى ما بشأن المصطلح الاجتماعي «* عبري» وإلى بعض الاشارات الأخرى، مثل «أبرام العبري» [(١)] والذي يقصد به إبراهيم الذي كان «غريباً في أرض كنعان» ولا يتمتع بحقوق المواطنة الكاملة،

---

(١) (ورد في سفر الخروج٢١:٢) و(التكوين ٢٤:١٣).

وكذلك المكانة الاجتماعية المتدنية، التي كانت لبني إسرائيل في مصر.[(١)]

---

(١) ومعنى هذا أن العبريين كانوا جماعة من الجماعات البدوية الرحل، كانت في نظر الشعوب الحضارية في المنطقة بمنزلة شعوب «عبرية» أي بدوية أدنى منهم حضارياً.

وهناك نصوص توراتية أخرى تؤيد هذا الرأي القائل بأن «عبر» تعني «عرب» أو بدو أو أعراب، ولم تكن اسم جنس ففي قصة يوسف تصف زوجة رئيس الشرطة يوسف بأنه «رجل عبري»١(التكوين ١٤:٣٩) وبأنه «العبد العبري» (التكوين ١٧:٣٩) وبأنه غلام عبري (التكوين ١٢:٤١) ويدل هذا على أن المقصود هو تعبير تحقيري يتعامل به أهل الحضر مع أهل البدو، وكذلك فإنه عندما أتى موسى إلى فرعون وتحدث معه باسم رب إسرائيل، لم يعرف فرعون من هو إله إسرائيل، فأوضح له موسى بأنه يقصد «رب العبريين» والنبي يونان بقول للملاحين الأجانب في السفينة «أنا عبري» وبالإضافة إلى ما سبق فإن سفر اللاويين(٣٩:٢٥) يحرم استعباد الإسرائيليين، بينما تسمح النصوص الواردة في سفر الخروج (٢:٢١) وفي سفر التثنية (١٢:١٥) وفي سفر إرميا (٩:٣-١٤) باستعباد «العبري» لمدة سبع سنوات قابلة للتمديد مدى الحياة، مما يبين وجود فرق جوهري بين الإسرائيلي والعبري في ذهن مدوني التوراة ومعنى هذا أن التسمية «عبري» لم تكن تسمية مقصورة على من عرفوا بعد ذلك بأنهم بنو إسرائيل، وكانت تشمل شعوباً أخرى تجمعها رابطة واحدة مثل: مديان وعمون ومؤاب وآدوم وغيرهم، وهي شعوب كانت أدنى حضاريا من أهل الحضارات المصرية والكنعانية وغيرها، ويمكن أن نجد قرينة على هذا فيما هو شائع في أيامنا، حيث يطلق على الشعوب التي تتحدث باللغة العربية وتنحدر من أصول عربية اسم «الشعوب العربية»، ولكنهم فيما بينهم وبين أنفسهم «مصريون» و«سوريون» و«عراقيون»...الخ.

٦- رأي يعتمد على معني الاسم في المعاجم العربية، حيث أن «العبر من الناس» هم «الغلف» أي غير المختونين، والمفرد منها «عبور»، والغلام المعبر هو «من

جذور الحركة الصهيونية:

إن جذور الصهيونية تمتد إلى أعماق التاريخ اليهودي، والطابع الديني هو السمة الأصلية لنظرية الصهيونية، ويعترف الدكتور/ سلومون شختر بهذه الحقيقة حيث يقول: (حيثما يكون الصهيونيون عاملين نشيطين تكون اليهودية حية عاملة) [١] ويرى الصهيونيون أن جذور الحركة الصهيونية- أو القومية اليهودية كما يسمونها- تعود إلى الدين اليهودي ذاته- وأن التاريخ اليهودي بعد تحطيم الهيكل على يد

= كان يحتلم ولم يختن بعد» ويرى هذا الرأي أن وصف أبرام بالعبري إنما المقصود به «أبرام العبور» أي «الغلف» ويستند في هذا الرأي إلى أن طقس الختان لم يكن قد فرض على «أبرام» والذي هو علاقة العهد بين الطرفين أي بين أبرام والهة، إذ إنه أبرم معه بعد أن أصبح أسمه إبراهيم :«وقال الوهيم لإبراهيم...»(التكوين ١٧: ٩-١٤).

وفي قصة موسى كذلك نجد أن ابنة فرعون عندما عثرت على رضيع يبكي مخبأ في سفط، وعرفت أنه ليس مصرياً قالت على الفور هذا من أولاد العبريين أي من أولاد الغلف لأن قدماء المصريين كانوا يمارسون ختان الذكور، ولم يأت أمر يهوه لموسى بختان اتباعه إلا بعد قراره وجماعته من أرض مصر.

٧- الرأي الأخير هو أن كلمة «عبر» و «عرب» هما أصل الكلمة واحدة تعرضت للإبدال أي قلب موقع الحرف داخل الكلمة مع المحافظة على المعني، ومعني هذا أن التسمية «عبري» إنما وظفت للدلالة على أهل البادية الرحل، أي وصف الحالة اجتماعية معنية وليس كاسم جنس، ويؤكد هذا أن «عرب»و«عبر» كانا ومازالا إلى حد ما، مصطلحين مرادف في المعني في اللغة العربية. قاموس المصطلحات الصهيونية ص١٦ــ ١٨. وموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية.

(١) انظر : احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ص ١٥٢.

الرومان، هو تاريخ شعب مختار منفي، مرتبط بأرضه، ينتظر دائما لحظة الخلاص والنجاة.

لكن الدارسين للدين اليهودي يعلمون أن الارتباط اليهودي بالعودة إلى الأرض المقدسة، هو ارتباط توراتي مشروط، إذ أن الدين اليهودي يحرم العودة إلى أرض الميعاد، ويعتبر أن مثل هذه المحاولة هي من قبيل التجديف والهرطقة، لأن عودة اليهود- حسب المعتقد الديني- لا يمكنها أن تتم إلا على يد مبعوث من لدن الخالق، هو المسيح المخلص، وليس على يد حركة سياسية مثل المنظمة الصهيونية العالمية ولذا حينما ظهرت الحركة الصهيونية عارضتها المنظمات اليهودية في العالم.

وقد يكون من الأدق البحث عن الجذور التاريخية الحقيقة للحركة الصهيونية في شرق أوربا، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر على وجه التحديد فمجتمعات هذا الجزء من العالم كانت تمر بتحول سريع من الإقطاع إلى الرأسمالية، صاحبها انفجار سكاني، نتج عنه وجود أعداد كبيرة من اليهود لم يكن من الممكن استيعابها بسرعة في الاقتصاد الرأسمالي الصناعي الجديد، الأمر الذي سبب خلق المشكلة المعروفة باسم «المسالة اليهودية».

وقد طرحت حلول عديدة لهذه المسألة منها الحل الاشتراكي الثوري، الذي يرى أن الثورة الاجتماعية ستحل مشكلات الكادحين والأقليات ومنها أيضا الحل الاشتراكي القومي الذي يطالب باستقلال

ثقافي حضاري لليهود كأقلية قومية متميزة داخل إطار الدولة الاشتراكية ثم كان هناك أيضا الحل الصهيوني الذي لا يرى أي حل لمشكلة اليهود إلا عن طريق توطينهم في فلسطين.

وقد وردت لفظة صهيون لأول مرة في العهد القديم عندما تعرض للملك داود الذي أسس مملكته ١٠٠٠ - ٩٦٠ ق. م[١].

الصهيونية الحديثة:

من الممكن التأصيل لظهور بوادر الصهيونية اليهودية الحديثة، مع ظهور تعاون معها من الكاثوليك النصارى، وذلك من خلال بيان نابليون بونابرت إلى اليهود الذين وصفهم البيان بأنهم ورثة فلسطين الشرعيون، وقد استخدم البيان لغة دينية مستمدة من أشعار الأنبياء وبخاصة لغة إشعيا ويوءيل. وكان نابليون أول من اقترح قيام دولة يهودية في فلسطين، وقد وصفه وايزمان بأنه أول الصهاينة المحدثين من غير اليهود[٢].

ثم ظهرت إبان هذه الفترة إرهاصات صهيونية عدة إلى أن بدأ

---

(١) انظر/ الموسوعة في الأديان والمذاهب المعاصرة ج١ ص ٥٢١ / ٥٢٢ ، و قاموس المصطلحات الصهيونية ص ١٢ــ ١٤. وموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية .

(٢) انظر : الأصول الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والمواقف الأمريكية / محمد السماك ص ١٨٠ بتصرف ط/ مركزات العالم الإسلامي ، مالطة ١٩٩١م.

هرتزل[١] ينظم الجمعيات الصهيونية المختلفة في العالم داخل إطار واحد وقد اكتشف هرتزل، منذ بداية نشاطه حقيقة بديهية، وهي أنه لابد لتنفيذ الرؤية الصهيونية من الاعتماد على دولة إمبريالية كبيرة، تقوم بتوفير الأرض للمستوطنين الصهيونيين، وبحمايتهم ضد السكان الأصليين، وبالدفاع عنهم في المحافل الدولة، لذا توجه هرتزل إلى جميع الدول الكبرى ذات المصالح الإمبريالية في الشرق الأوسط، ابتداء بالإمبراطورية العثمانية وقد فاوض السلطان عبد الحميد بهذا الخصوص في محاولتين، لكنه أخفق[٢]، عند ذلك عملت اليهودية العالمية على إزاحة السلطان، وإلغاء الخلافة، ثم مرورا بعد ذلك بفرنسا وألمانيا، وانتهاء بانكلترا، وقد توجت هذه الجهود بالحصول على وعد بلفور عام ١٩١٧.

ثم دعا إلى عقد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ في مدنية بال في سويسرا، مستغلا محاكمة الضابط اليهودي الفرنسي دريفوس الذي اتهم بالخيانة ١٨٩٤م لنقله أسرارا عسكرية من فرنسا إلى ألمانيا، لكن ثبتت براءته فيما بعد، ونجح هرتزل من تصوير المأساة اليهودية في زعمه من خلال هذه الواقعة الفردية وأصدر كتابه الشهير (الدولة اليهودية)

---

(١) تنسب هذه الحركة إلى تيودور هرتزل صحفي يهودي مجري ولد في بودابست يوم ٢/ ٥/ ١٨٦٠م حصل على شهادة الحقوق من جامعة فينا ١٨٧٨م. الموسوعة الميسرة ج١ ص٥٢٢.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة ص ٥٨٠ - ٥٨١.

الذي أكسبه أنصارا لا بأس بعددهم مما شجعه على إقامة أول مؤتمر صهيوني في بال بسويسرا من ٢٩-٣١/٨/١٨٩٧م وقد علق عليه بقوله: (لو طلب إلي تلخيص أعمال المؤتمر فإني أقول بل أنادي على مسمع من الجميع إنني قد أسست الدولة اليهودية)[١]. وقد استطاع أن يجمع يهود العالم حوله كما نجح في جمع دهاة اليهود الذين صدرت عنهم أخطر مقررات في تاريخ العالم وهي بروتوكولات حكماء صهيون[٢]

(١) الموسوعة الميسرة ج١ ص٥٢٢ -٥٢٣. وانظر: قاموس المصطلحات الصهيونية ص١٢ -١٤. وموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية.

(٢) من أشهر وأخطر المطبوعات المعادية لليهودية، وقد نشرها أولا باللغة الروسية سيرجي نيولس أحد الموظفين الروس في عام ١٩٠٥ (وهناك أحدى النسخ الأصلية في المتحف البريطاني) مدعياً أنه استلم المخطوطة في عام ١٩٠١من صديق له حصل عليها من امرأة سرقتها من أحد أقطاب الماسونية في فرنسا، وتضم دروسا ألقيت على التلامذة اليهود في باريس بعبارات تقطر سما وحقدا ضد الأغيار (والأغيار هم الغوييم عند اليهود أي الأقوام الأخرى غير اليهود)، وتضع الخطط للتغلب عليهم والسيطرة على العالم ومن هنا جاءت فكرة «المؤامرة اليهودية العالمية» التي ارتبط ذكرها بالبروتوكولات ويكشف الكتاب عن تأثير كاتبه الواضح بالفكر العنصري للقرن التاسع عشر ومن ذلك التأكيد على سنن الطبيعة والقوة بدلا من الحق، وعلى معاداة الثورة الفرنسية ومبادئ الحرية والمساواة والإخاء، والنيل من مكانة المرأة ومن دور الرأسمال والصناعة الحديثة، ويؤكد الكاتب أن السياسة لا تخضع للأخلاق، وأن على اليهود أن يستعملوا الحيلة والدهاء والنفاق ويستغلوا الحريات العامة وإمكانات النقد لتقويض كيان الدول، ويسعوا لإيقاعها في الحروب على ألا تؤدي هذه الحروب إلى تعديلات في

حدود الدول أو إلى مكاسب إقليمية ليتمكن رأس المال فقط من الخروج بالغنائم، وينبغي تركيز المنافسة في المجتمع ليجري الجميع نحو بريق الذهب، ويصبح الدين والسياسية مهزلتين ويسود رأس المال كل شيء. وقد اكتسح الكتاب، لعدة سنوات الفكر في أوروبا حتى قيل أنه أصبح أكبر كتاب رائج في العالم بعد الكتاب المقدس كما أنه ترجم إلى العربية وأثر في عقول بعض الناس ردحاً من الزمن، ولا شك أن أفكار الكتاب أصابت الأوساط الأوروبية المحافظة فوجدت فيه تفسيراً لكثير من المظاهر السياسية والاجتماعية والأخلاقية الحديثة التي أرعبتها. وبالنظر للسمعة الشائنة التي اكتسبتها هذه البروتوكولات فقد استفاد الصهيونيون من ذلك بإرجاع أي نقد ضدهم إلى الوقوع في حبائل البروتوكولات ويعتبر التعامل بالبروتوكولات أو الاستشهاد بها في الغرب دليلا على معاداة السامية. وقد لوحظ أن تصرفات الصهيونية (وإسرائيل) جاءت مصداقا لما أوردته البروتوكولات من أفكار وتوقعات ،ومن ذلك الارتباط الأخطبوطي للكيان الصهيوني بالكيانات اليهودية عبر العالم، مما يعطي صدى لفكرة الأفعى الرمزية التي يتردد ذكرها في البروتوكولات بجسمها وذنبها الممتد حول العالم ورأسها المستقر في (إسرائيل). ومنها أيضاً التأكيد على الصحافة وسيطرة اليهود عليها، واستخدام المال والإعلام والعلم في التأثير على الدول، والاعتماد على أي أسلوب مهما كان غير أخلاقي كالرشوة والفساد والمرأة والغش والإرهاب، ومنها أن على الدولة اليهودية- كما تقول البروتوكولات- أن تعتمد على العنف والرياء، وعلى اليهود أن يستغلوا الخلافات بين الدول ويبسطوا نفوذهم عليها ولا يتركوا اتفاقا دون أن يكون لهم ضلع فيه. ولئن لاح كل ذلك لبعض الباحثين دليلاً على دقة الملاحظة والإحساس وسعة النظر بما يمتاز به المزورون عموما فإن باحثين آخرين وجوده برهانا على صحة البروتوكولات وتطبيقا مخيفا لوصايا حكماء صهيون في عودة رأس الأفقي إلى القدس «تأسيس إسرائيل» بعد إصابة أوربا

الاتجاهات المتباينة في الصهيونية الحديثة:

وقد حدثت انقسامات عدة في صفوف الحركة الصهيونية:

١- فثمة اتجاه صهيوني روحي (ديني ثقافي) يؤكد ضرورة أن يكون البعث الصهيوني القومي بعثا دينيا وثقافيا في الدرجة الأولي، وبعثا سياسيا في الدرجة الثانية.

٢- وثمة اتجاه آخر سياسي، يرى أن المسألة اليهودية هي أساسا مسألة فائض سكاني يهودي يجب توطنيه في فلسطين، في إطار دولة ذات طابع ليبرالي.

٣- أما الاتجاه العمالي فكان يرى أن المسألة هي في الأساس مسألة عمال يهود، وأن حل المشكلة لا يتأتى إلا بتأسيس دولة صهيونية تتبع النموذج الاشتراكي ولكن جميع المدارس الصهيونية تتفق على ضرورة إسقاط حق الفلسطينيين.

ويمكن تخطي هذه التقسيمات التقليدية، فتقسم المدارس الصهيونية كلها إلى فرقتين أساسيتين:

الأولى: صهيونية استيطانية. وهي التي تهدف إلى تجمع اليهود وتوطينهم في فلسطين.

بالدمار والخراب وبما يلفت النظر تزامن الوثيقة مع المؤتمر الصهيوني الأول في بال. قاموس المصطلحات الصهيونية ص١١ــ ١٢ .

والثانية: صهيونية تدعيمية. وهي التي تهدف إلى تجنيد يهود العالم في أوطانهم المختلفة، لتحويلهم إلى جماعات ضغط تعمل من أجل الاستيطان والمستوطنين وهي تهدف أيضا إلى جمع العون المالي من يهود الشتات.

ولكل فريق صهيوني مؤسساته التي تحاول تحقيق أغراضه فالصهيونية الاستيطانية كانت تعبر عن نفسها في مؤسسات مثل «الهستدروت» والمنظمات الحزبية الاستيطانية وحركة «الكيبوتز» والجماعات العسكرية المختلفة مثل الهاغاناه وغيرها.

أما الصهيونية التدعيمية فكانت تقوم أساسا بتكوين جمعيات مختلفة مثل «الجباية اليهودية الموحدة» التي ترمي إلى جمع الأموال للمستوطنين ولكن الفريقين كليهما يضمهما إطار تنظيمي واحد، هو «المنظمة الصيهونية العالمية/ الوكالة اليهودية».

ولعل هذه التسمية المزدوجة تشير إلى طبيعة الصهيونية المزاوجة، فالقسم الأول من التسمية يشير إلى الصهيونية التدعيمية، في حين يشير الجزء الثاني إلى الصهيونية الاستيطانية وتنتمي المدارس الصهيونية كلها، بغض النظر عن ارتباطاتها الأيديولوجية، إلى المنظمة الصهيونية العالمية، وتأخذ منها العون المالي، مما يدل على أن الخلافات شكلية، ولا تنصب

على الجوهر في أية حال. [١]

موقف الصهيونية من العرب ومن يهود الشتات:

والصهيونية حركة عنصرية في موقفها من العرب ومن اليهود الشتات على حد سواء فهي تنكر على يهود الشتات حقهم في الانتماء إلى الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها، كما أنها تفترض دائما أنهم يتسمون بحاله من الشذوذ المرضي، وتنكر على الفلسطينيين العرب حقهم في تقرير المصير على أرض وطنهم فلسطين، ولذا نجد أن ثمة معارضة عربية وأخرى يهودية للصهيونية، أما المعارضة العربية فهي تتضح أكثر مما تتضح في الرفض العربي للكيان الصهيوني، وفي المقاومة الفلسطينية المسلحة. أما المعارضة اليهودية للصهيونية فهي تتركز بين اليهود الاندماجيين الذين لا يريدون ترك أوطانهم الحقيقة والانتماء إلى وطن وهمي، كبعض الاشتراكيين من اليهود الذين يعتبرون الصهيونية حركة إمبريالية تستخدم اليهود من أجل المصالح الإمبريالية.

كما أن فريقا من اليهود الأرثوذكس يعارضون الصهيونية باعتبارها نوعا من أنواع الكفر والإلحاد. [٢]

---

(١) انظر: قاموس المصطلحات الصهيونية ص ١٢ـ ١٤ ، والموسوعة الميسرة ج١ ص٥٢٣ ـ ٥٢٨.

(١) انظر تفصيل ذلك في موقف المذاهب المسيحية من الصهيونية د/ محمد خليفة حسن ص ٢٩ ـ ٣٥. إصدار مركز زايد للتنسيق والمتابعة أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة سنة ٢٠٠٢م

خطر الصهيونية:

لا ريب أن الصهيونية أخطر الحركات الدينية والسياسية التي شقيت بها البشرية عبر تاريخها الطويل.

فقد دأب الصهيونيون على تغليف مؤامراتهم بأطباق من السرية الصارمة، ويأبى الله تعالى إلا أن يفضحهم ويكشف أسرارهم.

إن الصهاينة(اليهود لا ينشئون الأحداث كما يزعمون لأنفسهم وكما يتوهم الذين تبهرهم سيطرة اليهود في الوقت الحاضر.

ولكن لا شك أنهم يجيدون انتهاز الفرص واستغلالها لتنفيذ مخططهم الشرير.

ولحكمة ما أخرج الله هذه الأمة وناط بها دورا تؤديه في التاريخ.

ومشكلة هذه الأمة كامنة في جبلتها المنحرفة التي لا يستجيب لدواعي الخير ولا تستقيم على الهدى ولا تشرق روحها ببارقة من نور..

جحدوا فضل الله عليهم، وجحدوا أنبيائهم، وجحدوا كل فضل قدمه إليهم أحد من البشر.. وقابلوا كل ذلك بإنكار الجميل أو الطمع والجشع والحسد وقساوة القلب.

كرهتهم كل الأمم لخصالهم تلك، فانطووا على أنفسهم، يملأ نفوسهم الحقد الدفين على الأمم كلها، يريدون أن يقضوا على كل

شعوب الأرض ليبقوا هم وحدهم، أو يريدون أن يستعبدوا الأمم كلها ويسخروها لمصالحهم.

وعقدتهم الكبرى أنهم شعب الله المختار، ومن ثم فينبغي أن يكون بقية البشر خدما وعبيدا لهم، ويكونوا وحدهم هم المسيطرين. [١]

ولكي نتعرف على الصهيونية في خطرها الذي تدبره للإسلام والمسلمين ولشعوب الأرض جميعا - الأمين - أود الوقوف بتدبر أمام ما اعترف به اليهود أنفسهم في مجلة تسمى «مجلة الجامعة الإسْرائيلية» أخذها لويس داست مؤلف كتاب «اليهود والجمعيات السرية» حيث وضع تلك الكلمة على غلاف كتابه ونصها: «نصادف في كل التغييرات الفكرية الكبرى عملا يهوديا، وسواء كان ظاهرا واضحا أو خفيا سريا، وعلى هذا فإن التاريخ اليهودي يمتد بامتداد التاريخ العالمي بجميع مجالاته، حيث تتغلغل فيه بآلاف الدسائس» [٢].

ويكاد يكون بين الكتاب إجماع على أن اليهود مصدر الفتن والثورات والقلاقل في كل مكان تناله أيديهم. «يقرر الباحثون أن الدور الذي قام به اليهود في بث روح الثورة وإنشاء الجمعيات السرية وإثارة الحركات الهدامة عظيم جدا ومؤكد جدا، فهم دعاة الثورة وقادة

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة ص ٧٩.

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام د/ علي عبد الحليم محمود ص ١٣٣ـ ١٣٤ جامعة الإمام محمد بن سعود نقلا عن اليهودية د/ أحمد شلبي ص ٣٠٩.

التقويض، وعنهم يقول الكاتب الشهير «برنارد لازار»: اليهودي يضطرم بروح ثوري وهو داعية للثورة سواء شعر بذلك أم لم يشعر. ومما يؤكد نسبة أكثر الحركات الهدامة السرية لليهود أنه تظهر دائما في هذه الحركات آثار التعاليم اليهودية الفلسفية [١].

ومن ثم تتبدى للأمة الإسلامية بل للعالم أجمع الحقيقة الصارخة للشخصية الصهيونية المتولدة من تعاليم التلمود الحقود!!

إن شخصية الصهيوني شخصية شيطانية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، شيطانية: منشأ، ومنزعا، وفكرا، وسلوكا، وعنادا، وإلحادا، واحترافا للإفساد والتضليل!!

وهذه كلمة ثالثة «لسرجى نيلوس» الذي كتب عن اليهود وادعى أنهم سيقيمون دولة في إسرائيل، قبل تنفيذ ذلك بخمسين عاما.

يقول ذلك الكاتب: (ويستفاد من الصهيونية اليهودية السرية أن علماء اليهود من قبل قد فكروا سنة ٩٢٩ قبل الميلاد في استنباط مكيدة لفتح كل العالم فتحا سلميا لصهيون..)[٢].

وكانت هذه المكيدة تنفذ خلال تطورات التاريخ بالتفصيل وتكمل على أيدي رجال دربوا على هذه المسألة، هؤلاء الرجال العلماء صمموا على فتح العالم بوسائل سلمية مع دهاء الأفعى الرمزية التي

---

(٢) المرجع السابق ص ١٣٤.
(١) المرجع السابق ص١٣٤.

كانت رأسها يرمز إلى المتفقهين في خطط الإدارة اليهودية، وكان جسم الأفعى يرمز إلى الشعب اليهودي، وكانت الإدارة مصونة سرا عن الناس جميعا حتى الأمة اليهودية نفسها، وحالما نفذت هذه الأفعى في قلوب الأمم التي اتصلت بها تسربت من تحتها، والتهمت كل قوى غير يهودية في هذه الدول.

وقد سبق القول بأن الأفعى لا بد أن عملها متصل، وأنها معتصمة اعتصاما صارما بالخطة الموسوية حتى يغلق الطريق الذي تسعى فيه بعودة رأسها إلى صهيون، وحتى تكون الأفعى بهذه الطريقة قد أكملت التفافها حول أوربا وتطويقها إياها، وتكون لشدة تكبيلها أوربا قد طوقت العالم أجمع وهذا ما يتم إنجازه باستعمال كل محاولة لإخضاع البلاد الأخرى بالفتوحات الاقتصادية.

إن عودة رأس الأفعى إلى صهيون لا يمكن أن تتم إلا بعد أن تنحط قوى كل ملوك أوربا، أي حينما تكون الأزمات الاقتصادية ودمار تجار الجملة قد أثرا في كل مكان، هناك ستمهد السبيل لإفساد الحماسة والنخوة - وللانحلال الأخلاقي، وخاصة بمساعدة النساء اليهوديات المتنكرات في صورة الفرنسيات والإيطاليات ومن إليهن، إن هؤلاء النساء أضمن ناشرات للخلاعة والتهتك في حيوات المتزعمين على رؤوس الأمم.

والنساء في خدمة صهيون يعملن كأحابيل ومصايد لمن يكونون بفضلهن في حاجة إلى المال على الدوام، فيكونون لذلك دائما على

استعداد لأن يبيعوا ضمائرهم بالمال، وهذا المال ليس إلا مقترضا من اليهود، لأنه سرعان ما يعود من طريق هؤلاء النسوة أنفسهن إلى اليهود الراشدين، ولكن بعد أن اشترى - هذا المال - عبيدا لهدف صهيون من طريق هذه المعاملات المالية.[١]

إن الصهيونيين يحملون في أعماقهم خصائص نفسية بالغة التعقيد، وتنطوي نفوسهم على أخلاق غاية في العوج والالتواء ،وتموج صدورهم بحقد طافح على البشر جميعا، ولطالما تأججت جوانبهم بوحر هذا الغل المحتدم.

ومن ثم يسعون في الأرض فسادا، ولا يرتاح لهم بال، ولا تهدأ لهم نفس، ولا يرون لأنفسهم سعادة إلا على أنقاض غيرهم، ولا يستريحون إلا بالدسائس، والكيد، والبغي والتآمر، والانتقام والتخريب!!

وإنه لأمر عجاب أن توجد أمة من البشر على هذا النمط، وتمتد في سلسلة واحدة عبر الأزمنة والأمكنة، وتتأصل في أجيالها جميعا كل خلائق السوء إلى هذا الحد الرهيب!

ويكاد العقل ينكر هذا للوهلة الأولى، ولا يصدق استمرار هذا السعار النفسي في الجيل بعد الجيل، على امتداد القرون والأجيال!!

ولكن هذا فعلا هو واقع الصهيونية وديدنهم، بل هو دينهم الذي

---

(١) الخطر اليهودي د / محمد خليفة التونسي ص ٢١٤ ـ ٢١٥ ط / بيروت الطبعة الرابعة.

صنعوه لأنفسهم، وأشربته قلوبهم على امتداد السنين والأيام، حتى صار كأنه سليقة مكتسبة تنتقل مع «حاملات الوراثة» إلى دماء الأحلاف عن الأسلاف!! [١]

فالمشكلة الصهيونية ترجع ابتداء وانتهاء إلى نوعية الشخصية ذاتها، وما درجت عليه من بغضاء وإيذاء!!

إن الحقد الصهيوني موجه إلى البشر جميعا بمختلف رسالاتهم، ولم تفلت منه أمة من الأمم، ولا سيما الأمة الإسلامية، وهذه حقيقة تاريخية معروفة ومؤكدة!!

وإن كانت الصهيونية تعلن حربها على الرسالات كلها، إلا أنها تولي عناية خاصة في حربها ضد الإسلام؛ لما له من قوة وثبوت وقبول لدى الكثيرين من الناس، فمنذ فجر ظهوره والصهاينة يحاولون النيل منه، بمحاولة إفساد شرائعه، وتشويه مصادر أحكامه، فدسوا كثيرا من الخرافات والبدع المضللة، ومنهم من ادعى الإسلام رياء ونفاقا لينال من الإسلام، ويثير الفتنة بين جمهرة المسلمين، ويفتري على الإسلام مزاعم ما أنزل الله بها من سلطان.

وحرصت الصهيونية على مواصلة هذا الكيد، وهذا العداء تطبيقا للمبادئ التي نصت عليها البرتوكولات، وقد حدث هذا عندما

---

(١) انظر : معركة الوجود بين القرآن والتلمود د/ عبد الستار فتح الله سعيد ص٣٣ ـ ٣٤ بتصرف الطبعة الثالثة دار الطباعة والنشر الإسلامية.

(تطاولت إسرائيل على القرآن الكريم فطبعت في عامي ١٣٨٠ و١٣٨٨هـ نسخا مزورة من المصحف الشريف، أسقطت منها بعض الألفاظ أو بعض الآيات وأحيانا سورة بحذافيرها، أو تناولت بعض الألفاظ بالتحريف -تبتغي بذلك تحريف بعض المعاني القرآنية والتشكيك في سلامة كتاب الله- بيد أن المسلمين كانوا بالمرصاد حريصين على تعقب كل ما يصدره أعداء الله من طبعات محرفة من المصحف والحيلولة دون تداولها [1].

ولا يتسع المقام لسرد فظائع الصهاينة التي سطرها التاريخ، ويكفي ما فعلوه ويفعلوه بإخواننا في فلسطين من طرد، وإبادة، وتقتيل، وتشريد، ونهب، وانقضاض عليهم غيلة وغدرا في مجازر مروعة في دير ياسين سنة ١٣٦٧م والتي ذبحوا بها مائتان وخمسون من الرجال والنساء والأطفال، وغير ذلك من القرى التي أبادوها عن أخرها.

ومن ثم نفهم كيف امتزجت هذه التعاليم البروتوكولية بالكيان الصهيوني، وسرت فيه مسرى الدماء في الخلايا، ولذلك آمنت الجمهرة الكبرى من الصهاينة بهذه التعاليم الفاحشة، وقدستها، وأطاعتها عن رضا، كما آمنت بالتلمود، وفضلت تعاليمه على التوراة، والتزمت به فوق التزامها بسائر ما لديها من وصايا وأسفار!!

خطر في خطر:

(١) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي د/ علي جريشة ص ١٧٥.

إن نظرت الصهاينة إلى غيرهم توسم بأنها (شيئية) وهي نظرة أو فلسفة تنافي الأخلاق في الصميم، فهي التي تسوغ لهم أن العالم ملك لهم بكل من فيه وما فيه. وأن يروا كل من ليس منهم عدوا لهم. فيعملوا على سحقه..... كما تسوغ لهم تعاليمهم الهمجية بل الشيطانية الخبيثة، بأن يستحلون العدوان على سائر الأمم وادعاء ملكيتها كأنها جمادات، ويوجبون بل يستوجبون على أنفسهم عداءها والعدوان عليها، لأن شريعتهم لا تكتفي بتسويغ جرائمهم بل تشجعهم على التفنن والإفراط فيها، ثم تكفل لهم المثوبة عليها من معبودهم (يهوه) رب الجنود الذي يختصونه بالعبادة، ويزعمون أنه اختصهم لنفسه دون سائر البشر، ووفق هذه المعاهدة الشيطانية بينهم وبينه يتسلطون على كل العباد والبلاد [1]. ذلك إلى عصرنا الحاضر، نتاج التلمود والبرتوكولات، ولقد زويت الأرض للناس، وتقاصرت مسافات السفر، بما استحدث في دنيا الناس من وسائل الاتصال والانتقال، وبرز الخطر المحدق بالعالم أجمع من جراء الصهيونية الحديثة وأفكارها الخبيثة. واحكم اليهود تنظيماتهم وأصبحوا يتحركون بدهاء و مكر لتحقيق أهدافهم التدميرية التي أصبحت نتائجها واضحة للعيان في هذا الزمن. وخلاصة ما جاء في هذه البرتوكولات:

١ - إشاعة الفوضى الشاملة:

جاء في البرتوكول الأول: (إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في

---

(١) انظر : الخطر اليهودي برتوكولات حكماء صهيون ص ٢٤ مرجع سابق.

شيء. والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع. وهو لذلك غير راسخ على عرشه.

لابد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء، فإن الشمائل الإنسانية العظيمة من الإخلاص والأمانة تصير رذائل في السياسة، وإنها لتبلغ في زعزعة العرش أعظم مما يبلغه ألد الخصوم [١]..... إن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا - ونحن نضع خططنا - ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد. [٢]

يجب أن يكون شعارنا «كل وسائل العنف والخديعة».

يجب أن يكون العنف هو الأساس. ويتحتم أن يكون ماكرا خداعا حكم تلك الحكومات التي تأبى أن تداس تحت أقدام أعوان أي حكم جديد. إن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير. ولذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غايتنا [٣].

وجاء في البرتوكول الخامس: (إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض. وقد منحنا الله العبقرية، كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل. إن كان في معسكر أعدائنا

---

(٢) السابق ص ١٥٥.

(٣) المرجع السابق ص ١٥٧.

(٢٠٧ المرجع السابق ص ١٦٠.

عبقري فقد يحارينا. ولكن القادم الجديد لن يكون كفؤا لأيد عريقة كأيدينا.

إن القتال بيننا سيكون ذا طبيعة متهورة لم ير العالم لها مثيلا من قبل. والوقت متأخر بالنسبة إلى عباقرتهم، وإن عجلات جهاز الدولة كلها تحركها قوة، وهذه القوة في أيدينا هي التي تسمى الذهب.[١]

ولا ريب أن ذلك عندما يطبق تنشأ عنه الفوضى الشاملة في دنيا الناس، ويتسلل أبناء الأفاعي من خلالها.

٢ - إثارة الحروب والفتن بين دول العالم:

كشف الحاخام عمانوئيل عن خطة الصهيونية في خطابه بمؤتمر الربانيين بمدينة بودابست سنة ١٩٥٤م ١٣٧٣هـ حيث قال: (هل تذكرون حملاتنا الدعائية الناجحة عام ١٩٣٠ م، لقد أثارت الحقد على الأمريكيين في ألمانيا والألمانيين في أمريكا، وهذا هو ما أدى إلى نشوب الحرب العالمية الثانية، وقد شرعنا في شن حملات مماثلة في سائر أنحاء العالم، فأثرنا في روسيا موجة من الحقد ضد الولايات المتحدة، وفي نفس الوقت أثرنا في الولايات المتحدة شعورنا بالخوف والتوجس إزاء الشيوعية، وتؤدى هذه الحملات الصغيرة إلى تحديد موقفها إما مع

---

(٢٠٨) الخطر اليهودي ص ١٨٢.

روسيا وإما مع أمريكا) [١].

وهذا تطبيق لما جاء في البرتوكولات صراحة، ففي البرتوكول العاشر: (لابد أن يستمر في كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات، فتستمر العداوات. والحروب، والكراهية، والموت استشهادا أيضا. هذا مع الجوع والفقر. ومع تفشي الأمراض وكل ذلك سيمتد إلى حد إن لا يرى الأمميون (غير اليهود) أي مخرج لهم من متاعبهم غير أن يلجأوا إلى الاحتماء بأموالنا وسلطتنا الكاملة [٢].

وفي البرتوكول الحادي عشر: (إن الأمميين (غير اليهود) كقطيع من الغنم، وإننا الذئاب. فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة؟ إنها لتغمض عيونها عن كل شيء. وإلى هذا المصير سيدفعون[٣].

ويتضح من خلال البروتوكول الخامس عشر كيف يعمل الصهاينة لتحقيق أهدافهم: (سنعمل كل ما في وسعنا على منع المؤامرات التي تدبر ضدنا حين نحصل على السلطة، متوسلين إليها بعدد من الانقلابات السياسية المفاجأة التي سننظمها بحيث تحدث في وقت واحد

---

(١) انظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص ١٧٢. وانظر :احذروا الأساليب الحديثة ص ١٧٠ ـ ١٧١.
(٢) الخطر اليهودي ص ٢١١.
(١) المرجع السابق ص ٢١٤.

في جميع الأقطار، وسنقبض على السلطة بسرعة عند إعلان حكوماتها رسميا أنها عاجزة عن حكم الشعوب، وقد تنقضي فترة طويلة من الزمن قبل أن يتحقق هذا، وربما تمتد هذه الفترة قرنا كاملا، ولكي نصل إلى منع المؤامرات ضدنا حين بلوغنا السلطة سننفذ الإعدام بلا رحمة في كل من يشهر أسلحة ضد استقرار سلطتنا [١].

وتنفيذا لهذه التعاليم يلاحظ أن الصهاينة دائما ضالعون في كل حركة تخريب على مستوى العالم، فقد كانوا وراء الحرب العالمية الأولى، يظاهرونها ويذكون أوارها.

وهكذا يعمدون إلى إثارة الفتن والوقيعة بين الشعوب والدول.

٣ - الإرهاب الفكري وإفساد الرأي العام:

يبين البرتوكول الخامس الكيفية التي بها يتم إفساد الرأي العام وبلبلة الأفكار فيقول: (ولضمان الرأي العام يجب أولا أن نحيره كل الحيرة بتغييرات من جميع النواحي لكل أساليب الآراء المتناقضة حتى يضيع الأمميون (غير اليهود) في متاهتهم. وعندئذ سيفهمون أن خير ما يسلكون من طرق هو ألا يكون لهم رأي في المسائل السياسية... وضروري لحكومتنا الناجحة -- أن تتضاعف وتتضخم الأخطاء والعادات والعواطف والقوانين العرقية في البلاد. حتى لا يستطيع إنسان أن يفكر بوضوح في ظلامها المطبق. وعندئذ يتعطل فهم الناس

---

(٢) المرجع السابق ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

بعضهم بعضا.

هذه السياسة ستساعدنا أيضا في بذر الخلافات بين الهيئات. وفي تفكيك كل القوى المجتمعة. وفي تثبيط كل تفوق فردي ربما يعوق أغراضنا بأي أسلوب من الأساليب [١].

وفي البروتوكول الثامن: (فسوف نعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم، كي تقف مخازيهم فاصلا بين الأمة وبينهم، وكذلك سوف نعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين إذا عصوا أوامرنا توقعوا المحاكمة والسجن. والغرض من كل هذا أنهم سيدافعون عن مصالحنا حتى النفس الأخير الذي تنفست صدورهم به[٢].

ولقد بلغ من جرأة اليهود أن استباحوا جلال العلم لإشباع حقدهم ونزواتهم، بإفساد العقول والأخلاق، والعبث بالقيم والفضائل الإنسانية فابتدعوا نظريات علمية تسوغ لهم ما يبيتون من مكر وكيد، وما ما ينفثون من آراء هدامة.. فاليهود وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها المجتمع الإنساني، فاليهودي: كارل ماركس وراء الشيوعية التي تهدم قواعد الأخلاق والأديان.. واليهودي دوركايم وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام

---

(١) الخطر اليهودي ص ١٨٤ ـ ١٨٥.
(١) المرجع السابق ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

الأسرة بالأوضاع المصطنعة، ويحاول أن يبطل آثارها في تطور الفضائل والآداب، واليهودي سارتر وراء الوجودية التي جنح بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات السقوط والانحلال [١].

وجاء في البروتوكول الثاني ما يؤكد هذا: (ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل. والأثر في الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحا لنا على التأكيد [٢].

٤ - أداة إفساد وتدمير:

ويكفينا هنا بعض ما جاء في البرتوكول التاسع: (ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الأميين، وجعلناه فاسدا متعفنا بما علمناه من مبادئ. ونظريات معروف لدينا زيفها. ولكننا نحن الملقنون لها. ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة من غير تعديل فعلي للقوانين السارية من قبل. بل بتحريفها في بساطة. وبوضع تفسيرات لها لم يقصد إليها مشترعوها[٣].

فماذا ينتظر من قوم تجمعوا على هذه الصفات العاتية؟!

قلوبهن أقسى من الحجارة...!

وأحبار السوء يمدونهم في الغي مدا!

---

(٢) احذروا الأساليب الحديثة ص ١٧٢ ـ ١٧٣ نقلا عن الصهيونية العالمية.
(٣) الخطر اليهودي ص ١٦٦ ـ ١٦٧.
(١) الخطر اليهودي ص ١٩٩.

بل ويضعون لهم الخلفية الدينية والفلسفية التي تبرر كل منكر، وتسوغه للضمير المظلم تسويفا خطيرا بنسبته إلى الوحي الأعلى!!

لذلك كان اليهود في كل مكان نزلوا به، وفي كل جيل عاصروه وعايشوه، وفي كل موقف من مواقف الحياة: (أداة إفساد وتدمير) لا تعرف خلقا ولا رحمة، ولا عهدا ولا ذمة، حتى قال أوسكار ليفي اليهودي: (نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه، ومحركي الفتن فيه وجلاديه) (١).

وأخلص من هذا إلى القول - بلا أدنى مغالاة- بأنه ما من موبقة من الفواحش والكبائر إلا ويعملون على إشاعتها بين الأمم، بل يتسارعون في ذلك، ويتهافتون عليه، ويبلغون فيه حد المبالغة، والاستغراق بلا حرج من شعور نفس، أو سلطان الدين، بل هم الذين اختلقوا المبررات الدينية لتأجيج المنكرات!!

وصدق الله العظيم في وصفهم ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦] ﴿وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٢].

﴿وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ

(٢) انظر معركة الوجود ص ١٤٢ مرجع سابق.

لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٢].

فتجد الصهاينة خفافا إلى الإثم، طيارين إليه كلما لاحت لهم بوارقه، كأنهم لا يشبعون ولا يملون!!

٥ - القضاء على العقائد والأديان:

وقد جاهر بذلك حاخام إسرائيل في تأسيس أحد المحافل الماسونية في تل أبيب سنة ١٣٧٧هـ بقوله: (إننا نعمل جميعا لهدف واحد هو العودة لكل الشعوب إلى أول دين محترم أنزله الله على ظهر هذه الأرض، وما عدا ذلك فهي أديان باطلة، أديان أوجدت الفرقة بين أهل البد الواحد، وبين أي شعب وشعب، ونتيجة لمجهوداتكم سيأتي يوم يتحطم فيه الدين المسيحي والدين الإسلامي، ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم المتعفنة، ويصل جميع البشر لنور الحق والحقيقة) [(١)].

وفي البرتوكول الرابع عشر: (حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض - لن نبيح قيام أي دين غير ديننا، أي الدين المعترف بوحدانية الله الذي ارتبط باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم. ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان) [(٢)].

وقد أوغل الصهاينة في ذلك إيغالا رهيبا حتى صاروا أئمته بلا

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة ص ١٧٥.
(٢) الخطر اليهودي ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩.

منازع، وعلمه المتفرد بين الناس قديما وحديثا على سواء!!

مرتكزات المنهج الصهيوني:

إن الصهاينة ماضون في تنفيذ سياستهم وتحقيق أطماعهم، ويرتكز منهجهم في ذلك على أربعة أمور:

أولا: السيطرة في المجال الفكري:

تستغل الوسائل الإعلامية لا سيما مع الثورة المثيرة في تكنولوجيا المعلومات، والاتصالات، ومحطات الإذاعة، والقنوات التلفزيونية الأرضية والفضائية، التي تبث برامجها المختلفة عبر حوالي ٢٠٠٠ مركبة فضائية، وهي أجهزة إعلامية فعالة، لتهيئة الأذهان وتطويعها لأهوائهم، سواء كانت هذه الأجهزة منظمات يهودية سافرة، أم منظمات اجتماعية مموهة، سرية كانت أم علنية، تعمل لحساب الصهيونية. التي تنفق بسخاء في هذا المجال أملا في إثارة الفتن، وإشاعة الفوضى الفكرية، والشكوك العقلية، وهدم العقائد الصحيحة وإفقاد الثقة بالنفس، وبالأخلاق القبيحة!

والصهيونيون يمارسون نشاطهم الإعلامي بدهاء وحذق، فلا يكتفون بإذاعة وجهات نظرهم، وإنما يترصدون بحرص شديد ما يذاع في الصحف، ووسائل الإعلام الأخرى فيحولون بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة -- من ضغط وتشهير ورشوة وإغراء -- أو ما يفيد أعداؤهم بوجه عام ويعتمد الصهيونيون اعتمادا كبيرا على وسائل

الإعلام، ويرون في الدعاية الصاخبة المدوية مفاعلا أبلغ تأثير وأقوى نفاذا، لا سيما في تنشئة أجيال كاملة تؤمن بالعنف كأسلوب للحياة، وكظاهرة عادية وطبيعية. وما يترتب على ذلك من انتشار الرذيلة، والجريمة، والعنف في المجتمعات الإسلامية وفي العالم كله، وقتل أوقات الشباب بتضييعها في توافه الأمور وبما يعود عليه بالضرر البالغ في دينه وأخلاقه وسلوكه وحركته في الحياة، وتساهم في هذا الجانب شبكات الاتصال الحديثة والقنوات الفضائية.

يقول هرتزل في مذكراته: (الضجة هي كل شيء، والحق أن الضجيج يؤدي إلى الأعمال الكبيرة) وذلك لأنها تستلتفت الأنظار، وتعبئ الأنصار، وتضعف الأعداء، وتنقل المعركة إلى جو عالمي تتوفر لها فيه مزايا ماضية حاسمة [١].

ولما كان الصهيونيون يعتقدون بأن الدين هو الخطر الأكبر الذي يتهددهم فقد كرسوا جهودهم لهمه وإزالته من نفوس الناس، وإحلال المادية المحضة محله بحيث تصير الماديات والشهوات هي الدين الذي يدين به المرء! والأمثلة على هذا العمل كثيرة فمن أهم ميادين اليهود في ذلك:

١ - إشاعة النظريات الإلحادية وتشجيعها.

٢ - الحط من كرامة رجال الدين والحد من تأثيرهم.

---

(١) انظر : احذروا الأساليب الحديثة ص ١٦٤. مرجع سابق.

٣ - السيطرة على الصحافة العالمية ودور النشر [١].

ثانيا: السيطرة الاقتصادية:

إن المال كما يقال عصب الحياة، وقد أدرك الصهاينة أكثر من غيرهم مكانة المال في زلزلة كيانات المجتمع، فأقبلوا على جمعه في نهم شديد، ليتحقق لهم عن طريق البنوك وبيوت المال، التي يهيمنون عليها، ويوجهون بها النشاط التجاري والصناعي لمصلحتهم، التحكم في الاقتصاد الفردي والجماعي، ودعم نفوذهم السياسي، وابتزاز الثروات الخاصة والعامة، وامتصاص الأموال من المجالات الحيوية، وتحطيم وانهيار المجتمعات، واحتقار المال ومضاربته، وإقراضه بالربا الفاحش، وإشاعة الفقر والدمار والإفلاس، وشراء ضمائر الساسة والحكام توصلا إلى ما يبتغون من مآرب وأطماع.

وجاء في البروتوكول الخامس ما يشير إلى أهمية المال عند الصهاينة اليهود: (وعلم الاقتصاد السياسي الذي محصه علماؤنا الفطاحل قد برهن على أن قوة رأس المال أعظم من مكانة التاج.

ويجب الحصول على احتكار مطلق للصناعة والتجارة، ليكون لرأس المال مجال حر، وهذا ما تسعى لاستكماله فعلا يد خفية في جميع

---

(٢) راجع في ذلك الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٣٢ ،١٥٢ ، ١٥٩ ، والقوى الخفية في السياسة العالمية / ل. فراي ـــ ترجمة محمد كمال ثابت ص ١٥٠ ط/ دار الكتاب العربي بيروت.

أنحاء العالم. ومثل هذه الحرية ستمنح التجار قوة سياسية. وهؤلاء التجار سيظلمون الجماهير بانتهاز الفرص[١].

ومعنى هذا أن وسيلة الصهاينة في احتكار الأسواق العالمية هي عملية الإغراق، أي طرح منتجات في الأسواق بسعر أقل عن الكلفة، على أن يعوضوا خسارتهم برفع السعر في الأسواق التي تم لهم احتكارها من قبل، مما يعرض منافسيهم للإفلاس والكساد، حتى إذا ما خلا جو الاحتكار لهم في السوق الجديدة عوضوا فيها برفع الأسعار بدرجة تضمن لهم أضعافا مضاعفة من الربح.

إن المال في أيدي اليهود الصهاينة أداة فعالة لشراء الذمم والضمائر والأصوات في المجتمعات المحلية والمحافل الدولية.

يقولون في البروتوكول الثامن: (إن الإداريين من الأممين يؤشرون على الأوراق من غير أن يقرؤها، ويعملون حبا في المال أو الرفعة لا للمصلحة الواجبة.

إننا نحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين، وهذا هو السبب في أن علم الاقتصاد هو الموضوع الرئيسي الذي يعلمه اليهود.

وسنكون محاطين بألوف من رجال البنوك، وأصحاب الصناعات، وأصحاب الملايين -- وأمرهم لا يزال أعظم قدرا -- إذ الواقع أن كل

(١) الخطر اليهودي ص١٨٢ ـ ١٨٣.

شيء سوف يقرره المال [١].

ثالثا: السيطرة السياسية:

رغم تركيز الصهاينة اليهود على شئون المال والاقتصاد، التي توفروا عليها وتخصصوا فيها، وملكوا زمامها، فإنهم لا يظهرون على مسرح الحياة الدولية العامة إلا في وظائف الحكم والرئاسة التي يتسللون بدهاء خارق ،وفقا لخطط مدروسة، وسياسة مرسومة، حتى يتاح لهم التحكم والسيطرة على دفة الحكم فيوجهون الحكام إلى ما يريدون من تحقيق مناهجهم الصهيونية.

لقد قام الصهاينة بتسخير سلطات الدول لتأمين رغد العيش لليهود، وتوفير الطمأنينة لهم، أو تسخيرها في إفساد المجتمعات، وإشاعة الانحلال في أوصال المجتمع، تمهيدا لتسويد اليهود وسيطرتهم.

ولطالما يذكرنا التاريخ الطويل بالخطر الداهم، والكيد المتواصل، وتخطيط الأجيال الحاقدة، الذين جعلوا أكبر همهم، التسلل إلى المناصب السيادية العليا، والمراكز السياسية المرموقة، في سائر الدول، شرقا وغربا، إسلامية أو نصرانية، فكان منهم خواص الأطباء في بلاط الملوك والأمراء، وكان منهم المستشارون والخبراء الاقتصاديون، والسياسيون.. وقد استطاع الصهاينة اليهود عن طريق رجالهم الذين وصلوا دهاليز السياسة،

---

(١) الخطر اليهودي ص ١٩٣.

والمناصب المهمة في الدولـة أن يحصـلوا مـن الحكومـة البريطانيـة على وعد بلفور بقيام وطن قومي لليهود في فلسطين، وأن يهيئوا لأنفسـهم في ظـل الاحـتلال البريطـاني لفلسـطين الـدعامات السياسـية والاقتصـادية والعسـكرية الـتي قامـت عليهـا الدولـة الإسرائيلية..

واستطاعوا بعد ذلك أن يحصلوا -عن طريق رجالهم وعملائهم أيضا- على تأييد الولايات المتحدة الأمريكية لكل مشروعاتهم وسياساتهم وقد بدأ هذا الوضع بعد وصول الرئيس جون كندي إلى الحكم كأول رئيس كاثوليكي. فقد تمكن الصهاينة من إقناع كندي بأن إسرائيل حليف طبيعي للولايات المتحدة الأمريكية ضد الشيوعية، وتم تصوير الإسلام في صورة الحليف للشيوعية، واكتسبت إسرائيل لاهوتية لدى الكاثولوكية الأمريكية [١]

ومن ثم ظفر الصهاينة بعد ذلك بأصوات الكثرة من أعضاء هيئة الأمم المتحدة حين طرح عليها الاعتراف بدولة إسرائيل المغتصبة [٢].

رابعا : السيطرة العسكرية :

يعمل الصهاينة جاهدين - منذ زمن بعيد - على إعداد جيش

---

(١) انظر الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز ص ٢٧ ــ ٢٨. ط/ عالم المعرفة العدد ٩٦ الكويت.
(٢) انظر : أساليب الغزو الفكري ص ١٦٥ بتصرف.

يهودي قري مزود بأحدث المعدات والأسلحة الحربية؛ لحماية الدولة اليهودية من جهة، وللتوسع الصهيوني من جهة أخرى.

يقول د / علي جريشة: (وقد بدأت الصهيونية بالإعداد؛ لتكوين الجيش إبان الحرب العالمية الأولى عندما شكلت فيلقا يهوديا من تسعمائة جندي انضم إلى فرق النقل في الجيش البريطاني وعرف باسم (فرقة البغالة الفلسطينية)، واشتركت في عملية (غاليبولي) في تركيا.. ثم سرحت سنة١٣٣٥هـ - ١٩١٦م)، وعلى أثرها انضم آلايان من اليهود إلى فرقة (حملة البنادق الملكية البريطانية)، كما انضمت فصائل من اليهود إلى جيوش (اللورد اللبنى) التي غزت فلسطين في نهاية الحرب ا لعالمية الأولي.

وكانت الظروف مواتية لهم أثناء الحرب العالمية الثانية حين غزا الجيش الألماني الشرق الأدنى بقيادة (روميل) فشكل اليهود سنة (١٣٦٠هـ - ١٩٤١م) فرقة عسكرية من عصابة (هاجاناه)، وأطلق على الفرقة اسم (البالماخ) أي الصاعقة؛ لتساعد في المقاومة خلف خطوط القتال في حالة احتلال الألمان لفلسطين وينتسب إلى هذه الفرقة كثير من زعماء إسرائيل مثل: (موسى ديان)، و(إسحاق رابين)، و(حاييم بارلييف).

كما ساهمت القوات اليهودية مع الجيوش الإنجليزية، والفرنسية الموالية للحنفاء في غزو سورية ولبنان.. وأنشئت فرقة يهودية أخرى ألحقت بالجيش البريطاني واشتركت في غزو ايطاليا.

وهكذا أتيح لليهود المبرر الرسمي لتكوين كتائب عسكرية مدربة تدريبا حديثا، ومزودة بالسلاح والعتاد، وتمكنوا في ظلال الاحتلال الإنجليزي لفلسطين من تحويل مستعمراتهم فيها إلى ثكنات عسكرية يحميها حرس يهودي.

وسمح الإنجليز لليهود بتشكيل منظمات عسكرية تحمل طابعا اجتماعيا، أو رياضيا، أو كشفيا مثل: (المكابي)، و(الترميلد)، و(شباب إسرائيل)، و(الطلائع)، و(أبناء صهيون) بالإضافة إلى المنظمات العسكرية: (هاجاناه)، و(أرجون رفاي ليومي) (أي التنظيم القومي الحربي)، و(شترن) (وهي من اليهود الشرقيين).

وحين انسحبت بريطانيا من فلسطين (سنة ١٤٦٧هـ - ١٩٤٨م)، وأعلن اليهود قيام دولة إسرائيل، كان لديهم جيش مدرب، ومستعمرات محصنة، وعصابة من الدول الاستعمارية تؤيدهم وتعترف بهم، وما زال الجيش الإسرائيلي موضع الحدب والرعاية من دول الغرب - وخاصة أمريكا - تمده بأحدث الأسلحة وبكميات ضخمة جدا. بحيث يتفوق بمعداته على الدول العربية المحيطة بإسرائيل مجتمعة[١].

ويحرص الصهاينة اليهود دائما على تحديث أ سلحتهم، ليتوفر لهم من الأسلحة ما هي أشد فتكا، وأكثر دمارا، حتى ولو كانت محرمة

---

(١) أساليب الغزو الفكري ص ١٦٦ ــ ١٦٧ مرجع سابق.

دوليا، إذ تحميها الدول الكبرى التي تغض الطرف عنها وعن مخالفتها التي تعتبر فوق القانون الدولي.

ومن ثم فالصهاينة يسيطرون في الجانب العسكري بما يملكون من أسلحة نووية، وبيولوجية، وكيماوية فتاكة وغيرها من العتاد الحربي الحديث.

ومن جهة أخرى فهم قادرون على تحريك جيوش الدول الكبرى لتساعدهم على تحقيق مصالحهم، والوصول إلى أطماعهم.

وهكذا يتبين خطر الصهيونية على العالم عامة، وعلى الإسلام خاصة.

يقول الله تعالى واصفا حال اليهود: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ...﴾ [آل عمران الآية ١١٢].

(ومعنى ذلك أن الأصل الدائم بالنسبة لهم هو ضرب الذلة عليهم في كل أرجاء الأرض، والاستثناء المنصوص عليه نصا صريحا في الآية: أن يمكنوا في الأرض ويكونوا مسيطرين: (إلا بحبل من الله وحبل من الناس) وهم الآن في قمة الاستثناء...

فأما حبل الله فهو قدره ومشيئته ومدده وإرادته...، وأما الحبل من الناس فلننظر في تفاصيله القائمة اليوم:

إنه ليس فقط أمريكا وما تمد به إسرائيل من العون المطلق...، وليس فقط روسيا وما تمد به إسرائيل من العون السياسي والتكنولوجي

عن طريق السماح للعلماء اليهود بالهجرة إلى إسرائيل...

إن الحبل من الناس لا يقتصر على هذا المدد من (هؤلاء الناس) الروس والأمريكان. (وأضيف في العصر الحاضر الاتحاد الأوربي).

إنه يأتي من كل الناس. كل سكان الأرض. إلا من رحم ربك!.

... وفساد اليهود ظاهر معروف إلا أنهم أشد من في الأرض اليوم تجمعا لهدف محدد يصبون إلى تحقيقه ويحتشدون لبلوغه بينما (الأميون) مهما تكن درجة تجمعهم والبذل للجهد في سبيل تحقيق أهدافهم - هم أقل من اليهود احتشادا وتجمعا وعزيمة على تحقيق الأهداف.

ثم هناك جانب آخر من القضية.. فاليهود فاسدون، وفي رؤسهم هدف معين هو إفساد (الأميين).

بينما (الأميون) فاسدون من أجل الفساد فحسب... ومن أجل ذلك - بسنن ربانية - يتفوق صاحب الهدف على من لا هدف له، وصاحب الهدف الأبعد على صاحب الهدف القريب وإن كانوا كلهم فاسدين. وكل ذلك إلى حين، ثم تأتي سنة الدمار.

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحج:٤٨].

سوف يزول هذا الاستثناء حين تزول الأسباب التي أدت إليه في تقدير الله، أي حين يستيقظ الأميون من غفلتهم ويعودون إلى الله.

وتظل الأمة الإسلامية هي المسئولة عن كل ما يجري في الأرض من

الأحداث؛ لأن الله نصبها؛ لتكون مسئولة عن إزالة المنكر في كل الأرض ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣]. وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠][١].

لن ينجو العالم ولن تنجو الأمة الإسلامية من الأخطار الصهيونية، ومن براثن اليهودية إلا إذا قام المسلمون بواجبهم تجاه العالم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجاهدوا لتحقيق ذلك بالنفس والنفيس.

أهداف الصهيونية:

و من ابرز أهداف هذه الحركة هو قيادة اليهود إلى حكم العالم بدأ بإقامة دولة لهم في فلسطين..... و من هنا يتبين لنا أهداف الصهيونية:

إن الصهيونية حركة يهودية خالصة. أما أهدافها فهي ذات جانبين: ديني وسياسي:

أما الجانب الديني فيتلخص فيما يلي:

---

(١) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر الأستاذ محمد قطب ص ١١٢ ـ ١١٤. بتصرف ط/ دار الوطن للنشر السعودية

١- إثارة الحماس الديني بين أفراد اليهود في جميع أنحاء العالم، لعودتهم إلى أرض الميعاد المزعومة (أرض فلسطين).

٢- حث سائر اليهود على التمسك بالتعاليم الدينية والعبادات والشعائر اليهودية والالتزام بأحكام الشريعة اليهودية.

٣ - إثارة الروح القتالية بين اليهود، والعصبية الدينية والقومية لهم للتصدي للأديان والأمم والشعوب الأخرى.

أما الجانب السياسي فيتلخص فيما يلي:

١- محاولة تهويد فلسطين (أي جعلها يهودية داخلياً) وذلك بتشجيع اليهود في جميع أنحاء العالم على الهجرة إلى فلسطين وتنظيم هجرتهم وتمويلها، وتأمين وسائل الاستقرار النفسي والوظيفي والسكني وذلك بإقامة المستوطنات داخل أرض فلسطين «وهي عبارة عن مجمعات سكنية حديثة كاملة المرافق تموها الصهيونية من تبراعات اليهود والدول الموالية لهم في العالم»، وتوطيد الكيان اليهودي الناشئ في فلسطين سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

٢- تدويل الكيان الإسرائيلي في فلسطين عالمياً، وذلك بانتزاع اعتراف اكثر دول العالم بوجود دولة إسرائيل في فلسطين وشرعيتها وضمان تحقيق الحماية الدوليه لها، وفرضها على العالم، وعلى المسلمين على وجه الخصوص. لذلك نجد أن الصهيونية تقوم بدور رئيس في دفع أمريكا وروسيا وأكثر الدول في أوربا لحماية إسرائيل سياسياً وعسكرياً

ودعمها اقتصاديا وبشريا، فبالرغم من إن أمريكا ودول أوربا - دول نصرانية-، وبالرغم من أن روسيا شيوعية تحارب الأديان وبالرغم أيضا من أن شعوب هذه الدول تكره اليهود بحق إلا أنها لا تزال تحمي دولة إسرائيل وتدعمها. وما ذلك إلا بتأثير الصهيونية الواضح.

٣- متابعة وتنفيذ المخططات اليهودية العالم السياسية والاقتصادية، خطوة بخطوة، ووضع الوسائل الكفيلة بالتنفيذ السريع والدقيق لهذه المخططات، ثم التهيئة لها إعلاميا وتمويلها اقتصاديا، ودعمها سياسياً.

٤- توحيد وتنظيم جهود اليهود في جميع العالم أفراد وجماعات ومؤسسات ومنظمات، وتحريك العملاء والمأجورين عند الحاجة لخدمة اليهود وتحقيق مصالحهم ومخططاتهم.

المطلب الخامس
طريقة الماســـونية

حقيقتها:

الماسونية.. اشتقاق لغوي من الكلمة الفرنسية (Macon) ومعناها (البناء) والماسونية تقابلها (Maconneries).. أى البناؤون الأحرار.. وفى الإنجليزية يقال: فري ماسون (Free-mason) (البناؤون الأحرار). وبذلك يتضح أن هذه المنظمة يربطها أصحابها ومؤسسوها بمهنة البناء. وبالفعل يزعم مؤرخوها ودعاتها أنها في الأصل تضم الجماعات المشتغلة في مهن البناء والعمار. وبهذا التبرير السخيف يحاولون إظهارها وكأنها أشبه بنقابة للعاملين في مهن البناء!..؟! [1].

أما في الاصطلاح فهي: منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية غامضة، محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعه (حرية - إخاء - مساواة - إنسانية) [2].

---

(١) موقع أبو إسلام أحمد عبد الله . http .www.webadh.com .

(٢) انظر: الموسوعة ج١ ص ٥١٣. مرجع سابق. وانظر : العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د / سعد الدين صالح ص ٢٣٤ط/ دار الصفا القاهرة الطبعة الثانية ١٩٩٠م.

فهل هذه حقيقتها فعلا؟

لو كانت الماسونية نقابة محترفي أعمال بناء فما الداعي لسريتها وإخفاء أوراقها، لماذا تختفي في الظلام لتعمل فيه وترهب النور وتخشاه؟

إن أصحاب المبادئ الحرة يعلنون عن مبادئهم، ويتحملون الصعاب من أجلها، ما دامت حقا يأملون به صلاح الإنسانية وتحقيق سعادتها.

حقيقة الماسونية

إن حقيقة الماسونية كما يقول أحد المؤرخين المحدثين: (الماسونية آلة صيد بيد اليهود يصرعون بها كبار الساسة، ويخدعون الأمم الغافلة والشعوب الجاهلة) [١].

ويقول أحد المنشقين عليها - وكان برتبة أستاذ - السيد الحاج في كتابه (هيكل سليمان): (إن مبدأ هذه الفرقة - الماسونية - وتعاليمها ودرجاتها وغاياتها ترمي إلى تقديس كل ما ورد في التوراة، واحترام الدين اليهودي، والعمل على تجديد المملكة اليهودية في فلسطين، وإعادة هيكل سليمان) [٢].

إن الماسونية حركة خطيرة ما إن يطرح اسمها حتى يثور القلق في

---

(١) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها د / عبد الرحمن عميرة ص ٢٥ ط / دار اللواء السعودية.

(٢) انظر: الماسونية العالمية وموقفها من الإنسان والأديان د / عابد منصور مطبعة الأمانة ط / ١٩٨٨م

نفس المستمع. وما أن تذكر حتى ترى الجلساء يبدءون بتعداد مؤامراتها ومكائدها. ويظهرون الحيرة في أمر هذه الحركة.. التي اعتمدت السرية في إخفاء حقيقتها وأهدافها. ولعل ذلك لأن اليهود الذين حاربوا الأنبياء والرسل. وظنوا أنهم شعب الله المختار وأن ما سواهم (غوييم). أي أغبياء ضالين يوجهونهم كيف يشاؤون ويصل بهم المستوى للقول: (الغوييم هم حيوانات بصورة بشر) أرادوا أن تكون الماسونية من جملة الأقنعة التي تستتر مخططاتهم وراءها.

يقول حكماء صهيون في البرتوكول الخامس عشر من بروتوكولاتهم: (أننا كنا الشعب الوحيد الذي يوجه المشروعات ونحن الشعب الوحيد الذي يعرف كيف يوجهها، ونحن نعرف الهدف الأخير لكل عمل على حين أن الأممين (غير اليهود) جاهلون بمعظم الأشياء الخاصة بالماسونية، ولا يستطيعون ولو رؤية النتائج العاجلة لما هم غافلون. وهم بعامة لا يفكرون إلا في المنافع الوقتية العاجلة، ويكتفون بتحقيق أغراضهم، حين يرضي غرورهم، ولا يفطنون إلى أن الفكرة الأصلية لم تكن فكرتهم بل كنا نحن أنفسنا الذين أوحينا إليهم بها!) [١]

هذا قليل من كثير جاء عند حكماء صهيون عن الماسونية بأنها من الأدوات الهامة التي يسعون عبرها لتحقيق أهدافهم سواء في بناء مملكتهم المزعومة في فلسطين، و إعادة بناء هيكل سليمان. أو في تحقيق

---

(١) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ص ٢٣٦ / ٢٣٧. مرجع سابق.

نفوذ لهم في أية حكومة أو مؤسسة يستطيعون النفاذ إليها. أو في نشر الفساد في الأرض، لأن إشاعة التعلق بالمادة والشهوات والأهواء يكشف الثغرات ونقاط الضعف في كل شخص والنافذين بشكل خاص كي يتوجهوا إليه بإشباع هذه الأهواء فيصبح رهينة بين أيديهم يستثمرونه كما يريدون..!

والماسونية تعتمد المنهج اليهودي في الحط من شأن الخالق سبحانه وتعالى. فكما أن اليهود في توراتهم المحرفة يقولون بالاتحاد بين الله والإنسان. فيعطون على أساس ذلك لله تعالى أوصافا بشرية كقولهم مثلاً:

بكى حتى تورمت عيناه.. ندم على خراب الهيكل..! سمع آدم وقع أقدام الرب في الجنة..!

كذلك الماسون يستخدمون للخالق سبحانه وتعالى تعبيرا غامضا هو: مهندس الكون الأعظم! وفي هذا التعبير إنكار واضح لخلق الله تعالى المخلوقات من العدم. فالمهندس ليس سوى بان من مواد متوفرة. وقولهم الأعظم يفيد وكأن العمل تم من قبل مجموعة كان هو أعظمها!

فماسونيتهم كما يدعون فوق الأديان وهى عقيدة العقائد لا تعترف بوطنية ولا قومية فهي أممية تعمل على توحيد البشرية وادعاء نشر السلام العالمي واللغة العالمية إلى ما هنالك من شعارات براقة وجد فيها الضعفاء سبيلا للهروب ومبررا لتقصيرهم في جهادهم من إعلاء راية

الإيمان وحفظ الأمم والأوطان والمقدسات.

و ليست الماسونية حركة منظمة لا يمكن محاربتها وإنما حركة مشتتة متعددة النظم محافلها أكثر من أن تعد. وهي متصارعة. وكل محفل فيها يتهم غيره بالخروج عن الماسونية والانحراف عن مبادئها. ففي لبنان وحده وهو بلد صغير هناك عشرات المحافل ولكل واحد منها نظامه ورؤساؤه و مفاهيمه!

والماسونية حركة تشكل أداة بيد الصهيونية والاستعمار ولكنها ليست الوحيدة. فمن تفرعاتها أندية الروتاري والليونز التي يتباهى بعض من ينسبون أنفسهم لمراكز دينية أو ثقافية زورا بالانتماء لها أو حضور احتفالاتها. ومن مثيلاتها حركات هدامة وأبرزها البهائية والقاديانية!![1].

إن جل أعضاء الماسونية من الشخصيات المرموقة في العالم، من يوثقهم عهداً بحفظ الأسرار، ويقيمون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام تمهيداً بحفظ جمهورية ديمقراطية عالمية - كما يدعون - وتتخذ الوصولية والنفعية أساساً لتحقيق أغراضها في تكوين حكومة لا دينية عالمية.

نشأة الماسونية وجذورها

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ نشأتها والأرجح أنها نشأت في

---

(١) انظر : موقع أبو إسلام بتصرف، مرجع سابق.

الثلث الثاني من القرن الأول الميلادي، وبالتحديد في العام ٤٣م وفي إطار حملتهم للقضاء على الديانة النصرانية، أنشأ اليهود جمعية سرية أطلقوا عليها اسم «القوة الخفية» واستعانوا بشخصية يهودية تعرف باسم «احيرام أبيود»، أحد مستشاري الملك هيرودس الثاني عدو النصرانية الأكبر، لتحقيق هذه الغاية.

وعن هذه النقطة يقول حيرام: «لما رأيت أن رجال الدجال يسوع وأتباعهم يكثرون ويجتهدون بتضليل الشعب اليهودي بتعاليمهم، مثلت أمام مولاي هيرودوس وقلت له: مولاي الملك: لقد تأكد لجلالتكم وللملأ أن ذلك الدجال يسوع استمال بأعماله وتعاليمه المضلة قلوب كثير من الشعب اليهودي شعبكم، وعلى ما يظهر أن أتباعه ينمون ويزدادون يوماً بعد يوم. فلما رأيت أن لا أمل بقوة تدفع تلك القوة التي لا شك أنها خفية إلا بإنشاء قوة خفية مثلها، فلذلك أرى من الصواب إذا حسن في عين جلالة مولاي وارتأى رأي عبده: إنشاء جمعية ذات قوة أعظم منها، تضم القوة اليهودية المهددة من تلك القوة الخفية، ولا يكون عالماً بمنشأيها ووجودها ومبادئها وأعمالها إلا من كان داخلاً فيها، ولن ندع أحداً يعرف أننا أسسناها إلا المؤسسين الذين تختارهم جلالتكم...».

وجد الملك هيرودوس في فكرة أبيود، فرصة في محاربة أتباع الدعوة اليسوعية، فتلقفها على الفور وبادر إلى استدعاء أبرز مستشاريه بهدف تفعيلها على الفور في إطار تنظيمي فاعل، ولقد ضم الاجتماع الأول

بالإضافة إلى الملك، وأبيود؛ كلاً من: مؤآب لافي، هانا أنتيبا، جاكوب أبدون، سلومون، أبيرون، أدونيرام.

والثابت تاريخياً أن السلف والخلف من آل هيرودوس لم يدخروا جهداً في التنكيل برموز الدعوة النصرانية من مثل: قتل القديس يعقوب وسجن الداعي بطرس وقطع رأس يوحنا المعمدان بالإضافة إلى ذبح أطفال بيت لحم.(١)

وقد أسندت رئاسة جمعية «القوة الخفية» إلى الملك المذكور، وهكذا تم عقد أول اجتماع سري عام ٤٣م حضره الملك المذكور ومستشاراه اليهوديان «احيرام أبيود» و«موآب لامي» وستة من الأنصار المختارين، وكان الغرض الرئيس من إنشاء هذه الجمعية القضاء على النصرانية.

وقد عقدوا الاجتماع الثاني واتخذوا بعض القرارات السرية وتعاهدوا على كتمانها وأفسحوا لمن يثقون بهم المجال للانضمام إلى هذه الجمعية على أن تُعصَب عينيْ كل من يود الانتساب للجمعية، واتفقوا على اتخاذ بعض الأدوات الهندسية كالبيكار والميزان رمزاً لمن-ظمتهم السرية.

وتلا هذا الاجتماع سلسلة لقاءات دورية سرية، تمخض عنها وضع الخطوط العامة والتفصيلية للهيكلية التنظيمية، وتخلل هذا الأمر تدريجياً

---

(٢٣٥) انظر : المرجع السابق. ومكايد يهودية عبر التاريخ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٢٢ ـ ٢٢٦ بتصرف

تسييج نشاطهم الداخلي والخارجي بسياج محكم من الطقوس والرموز السرية، وأعقب ذلك انتشار لأعضاء الحركة الجديدة وعمل دعوي على خطين متوازيين:

الأول: وتمثل في بناء هياكل (محافل حسب التسمية الحديثة) واجتذاب أعضاء جدد إليها من عامة الناس، تحت شعارات وعناوين مغايرة تماماً لحقيقة الأمر.

والثاني: نشاط سري تركز على تعقب المبشرين النصرانيين، إما بالتكذيب أو التحريف وأحياناً بالنفي والقتل.

وبعد هلاك الملك هيرودس انتقلت رئاسة هذه الجمعية السرية إلى «احيرام» مستشاره ثم أعقبه ابن أخيه «طوبان لقيان».

ويكتب التاريخ أن حيرام أبيود وجد مقتولاً تحت شجرة في مدينة صيدون (صيدا) خلال قيامه في مهمة تبشيرية. وتقديراً لفضله في تأسيس القوة الخفية والعمل على تعزيز مكانتها، بالغ تلامذته في تكريمه بأن أطلقوا على أنفسهم لفترة زمنية غير طويلة «أبناء الأرملة» وذلك لأن حيرام كان يتيم الأم، وغالباً ما عُرف بين أصحابه بـ «ابن الأرملة».

بقيت حركة حيرام أبيود تعرف باسم القوة الخفية، حتى بداية القرن الثامن عشر، وتُعد هذه المرحلة التاريخية الفاصلة بين انطلاقة الحركة ومطلع القرن المذكور، من أكثر المراحل غموضاً في تاريخها، ولم

نعثر للأسف في مطاوي ما كُتب عن تاريخ الماسونية، على ما يمكن أن يُستدل من خلاله على ما آلت إليه أمور الحركة طيلة هذه الفترة، غير أننا نفترض على ضوء ما حصل لاحقاً، ولأسباب نجهلها، أن الحركة أو القوة الخفية قد شُلت حركتها من الناحية العملية، فيما تحولت تعاليمها وإنجازاتها إلى إرث أسطوري توارثته نخبة من اليهود، تعود في جذورها إلى سلالة المؤسسين الأوائل.

وهذا ليس بالأمر المستغرب، إذا عرفنا طبيعة الحركات الباطنية التي تميل إلى الجمود والانطواء والتكتم على كل ما يتصل بتاريخ رموزها.

وتجاوزاً لتلك المرحلة الغامضة بكل ما حملت من تطورات وأحداث، نتوقف عند بداية القرن الثامن عشر، حيث شهدت محاولة تجديد الإرث الخفي، وانطلاقة الحركة الماسونية وشيوعها.

ففي ٢٥ أغسطس من العام ١٧١٦، اجتمع كلٌ من «جوزف لافي» أحد ورثة تاريخ أجداده، من الجد الأكبر «موآب لافي» وابنه إبراهيم، ويهودي آخر يدعى «إبراهيم أبيود» من سلالة المؤسس الأول «حيرام أبيود»، بالإضافة إلى عضوين آخرين، اجتمع الخمسة في لندن بعد اطلاعهم على النسخة الأصلية لتعاليم القوة الخفية ورموزها وإشاراتها السرية، ووضعوا لها بعض المبادئ البراقة «حرية، مساواة، إخاء، تعاون» واستبدلوا الرموز القديمة باصطلاحات جديدة كما قرروا تبديل اسم «هيكل» الذي كانوا يستعملونه قديماً باسم «محفل» وتبديل اسم القوة الخفية باسم «البنائين الأحرار» (ماسون تعني بناء). ولأول مرة في

التاريخ ظهر لعالم الوجود ما يسمونه بالبنائين الأحرار، وأخذت تنتشر الجمعيات التي تحمل هذا الاسم، وزعم أقطاب اليهود الذين يقفون وراء هذه الجمعيات أن أهدافها نشر المبادئ الإصلاحية والاجتماعية وبناء مجتمع إنساني جديد. وقد استطاعوا أن يتخذوا من أحد أنصارهم «ديزا كوليبه» مطية لتحقيق أغراضهم وأطلقوا عليه وعلى من يسيرون على غراره من غير اليهود اسم «العميان» كما أطلقوا على اسم محفل لندن الماسوني المركزي اسم «محفل إنجلترا الأعظم» على أن يكون في مقدمة مهامه دعم اليهود ومحاربة الأديان وبث روح الإلحاد والإباحية.

وكانت أوروبا في تلك الفترة تعيش أخصب المراحل في ورش الإعمار والبناء، وكان البناؤون ناشطين ومؤثرين في مجريات الحياة من خلال العمل النقابي، فاستغل اليهود هذا المناخ للتمويه على انطلاقتهم السرية، وأطلقوا على حركتهم اسم البناؤون الأحرار (الماسونية)، وعلى هيكلهم اسم (المحفل) بقصد التعتيم والتضليل، وكانوا يرمزون بذلك إلى هدفهم الأكبر: استعادة مجد إسرائيل، واسترداد هيكل سليمان في بيت المقدس.

وبعد حوالي عشرة أشهر، وتحديداً في ٢٤ حزيران ١٧١٧ عُقد أول لقاء بين الأعضاء الخمسة على أساس المعطيات الجديدة، وكان مكانه في لندن أيضاً، واعتبر هذا اليوم التاريخي بمثابة العيد السنوي للماسونية، أو يطلق على هذا اليوم حالياً وللتمويه (عيد مار يوحنا)، وأعلن حينها عن تأسيس أول محفل عالمي ماسوني سمي بمحفل انكلترا العظيم.

ومما ساعد لاحقاً على انتشار الحركة الماسونية كما سيتبين معنا، الظروف المفصلية التي كانت تعيشها أوروبا والتحولات الكبرى التي عصفت بها على كل المستويات.

فبعد ظهور عصر النهضة وما تولد عنه من أفكار تدعو إلى تقديس العقل، والإيمان بالقانون الطبيعي، ونبذ كل ما يتعلق بفكرة الغيب والدين، وفي ظل انكماش سلطة الكنيسة وتراجعها أمام زحف الأفكار العلمانية في صورتها الجنينية، ازدهرت الحركة الماسونية بأفكارها الطوباوية الجوفاء (الحرية والمساواة والاخاء)، مستغلة بذلك حاجة الأوروبي الغريق، إلى خشبة الخلاص الروحي والمعنوي.

وقد استطاع الماسونيون بما كانوا يملكون من قوة التأثير المادي والإعلامي، استقطاب أبرز الرموز الأوروبية في تلك الفترة، بالإضافة إلى تركيزهم على الطبقة المتوسطة في المجتمع الأوروبي، والتي عادة ما تكون فاعلة وطامحة للتغيير، ومن هنا نجد سرعة انتشار المحافل الماسونية في أرجاء أوروبا، حيث أنه لم يمض أكثر من ثمان سنوات على تأسيس المحفل الأول في بريطانيا، حتى تلاه الثاني في فرنسا عام ١٧٢٥، والثالث والرابع في كل من إيطاليا وألمانيا عام ١٧٣٣.

وعلى مستوى الرموز الأوروبية السياسية، فقد انضم إلى الماسونية كلٌ من؛ ملكي بروسيا فريدريك الثاني والثالث، وملوك شبه جزيرة اسكندنافيا، وملك النمسا جوزف الثاني، ونابليون وأفراد أسرته، بالإضافة إلى أعضاء الأسرة المالكة الإنجليزية.

ويُقال أن أكثر من نصف أعضاء الجمعية العمومية في فرنسا عشية الثورة الفرنسية، كانوا أعضاء في الماسونية، ومن جهة ثانية استطاعت الماسونية، من خلال قدرة اليهود التعبوية، التأثير في أعضاء الطبقة الفكرية والعلمية من أمثال فولتير ومونتسكيو وجوته وفخته وهربر وموتسارت بالإضافة إلى الأنسيكلوبيديين (الموسوعيين).

وهذا باختصار؛ هو عرض لما حققته الماسونية خلال قرن من انطلاقتها الرسمية، ولا حاجة للتذكير بمغزى هذا الأمر لجهة قوة هذه الحركة ونفوذها الواسع، الذي استمر تصاعدياً حتى وقتنا الراهن، وأيضاً لجهة تماسك وتشابك تنظيمها السري الداخلي.

وللحركة الماسونية تاريخ أسود، وتردد اسمها عند نشأة كثير من الحركات السرية والعلنية وفي مؤامرات عديدة، وعُرفت بطابع السرية والتكتم وبالطقوس الغريبة التي أخذت الكثير من رموزها من التراث اليهودي وكُتبت حولها الآلاف من الكتب في الغرب وفي الشرق. ومن أهم الحركات والثورات التي كانت الماسونية وراءها الثورة الفرنسية، وحركة الاتحاد والترقي التي قامت بحركة انقلابية ضد السلطان عبد الحميد الثاني ووصلت إلى الحكم ثم ما لبثت أن ورطت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى مما أدى إلى تمزقها وسقوطها.

وقد ظل طابع السرية يلف هذه الحركة في اجتماعاتها ومنتدياتها وتحركاتها حتى طرأ تطور جديد، إذ تجرأت بفتح أبوابها وإعلان نشاطها

متحدية كل المشاعر المتأججة ضدها [1].

التطور التاريخي للماسونية في الشرق الأوسط:

كانت تركيا.. المحطة الأولى في المنطقة لإعلان هذا النشاط، ثم جاء الأردن ثانية، ولا ندري أين ستكون المحطة الثالثة؟ الماسونية كما هو ثابت نتاج الفكر اليهودي، وتركيا ترتبط مع الكيان الصهيوني بحلف استراتيجي، فهل هناك علاقة تجمع بين أطراف هذا الثالوث؟ وما قصة الماسونية في تركيا؟.. وماذا فعلت فيها؟ ولنبدأ من البداية:

اسطنبول:

تأسس أول محفل ماسوني في الدولة العثمانية عام ١٨٦١م تحت اسم «الشورى العثمانية العالية» ولكنه لم يستمر طويلاً، فالظاهر أنه قوبل برد فعل غاضب مما أدى إلى إغلاقه بعد فترة قصيرة من تأسيسه. ومن المعروف أن أول سلطان عثماني ماسوني كان السلطان مراد الخامس الشقيق الأكبر للسلطان عبد الحميد الثاني والذي لم يدم حكمه

---

(١) انظر : المرجع السابق ، والموسوعة الميسرة ج١ ص ٥١٣ وما بعدها ، ومكايد يهودية عبر التاريخ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٢٢ ـ ٢٢٦ بتصرف الطبعة الثالثة ط / دار القلم دمشق بيروت. والمذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص ٢٥ وما بعدها ،والعقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د / سعد الدين صالح ص ٢٣٥وما بعدها. وأيضا ما جاء في حلقة في قناة الجزيرة تحت عنوان سري للغاية تقديم يسري فودة بتاريخ ٢/ ٩/ ١٩٩٩م .

سوى ثلاثة اشهر تقريباً عندما أقصي عن العرش لإصابته بالجنون. وقد انتسب إلى الماسونية عندما كان ولياً للعهد وارتبط بالمحفل الإسكتلندي، كما كان صديقاً حميماً لولي العهد الإنجليزي الأمير إدوارد «ملك إنجلترا فيما بعد» الذي كان ماسونياً مثله، حتى ظنّ بعض المؤرخين أن ولي عهد إنجلترا هو الذي أدخله في الماسونية، ولكن هذا غير صحيح لأنه كان ماسونياً قبل تعرفه إلى الأمير «إدوارد».

وكان من النتائج الخطيرة لتواجد المحافل الماسونية الأجنبية داخل حدود الدولة العثمانية احتضان هذه المحافل حركة «الاتحاد والترقي» وهي في مرحلة المعارضة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وأصبحت المحافل الماسونية محل عقد اجتماعات أعضاء جمعية الاتحاد والترقي بعيداً عن أعين شرطة الدولة وعيونها لكونها تحت رعاية الدول الأجنبية ولا يمكن تفتيشها. ويعترف أحد المحافل الماسونية التركية الحالية وهو محفل «الماسونيون الأحرار والمقبولون» في صفحة «الإنترنت» التي فتحوها تحت رموز: بأنه: «من المعلوم وجود علاقات حميمة بين أعضاء جمعية الاتحاد والترقي وبين أعضاء المحافل الماسونية في تراقيا الغربية، بدليل أن الذين أجبروا السلطان عبد الحميد الثاني على قبول إعلان المشروطية كان معظمهم من الماسونيين».

يقول المؤرخ الأمريكي الدكتور «أرنست أ. رامزور» في كتابه «تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م» وهو يشرح سرعة انتشار حركة جمعية الاتحاد والترقي في مدينة سلانيك:

«لم يمض وقت طويل على المتآمرين في سلانيك وهي مركز النشاط حتى اكتشفوا فائدة منظمة أخرى وهي الماسونية، ولما كان يصعب على عبد الحميد أن يعمل هنا بنفس الحرية التي كان يتمتع بها في الأجزاء الأخرى من الإمبراطورية فإن المحافل الماسونية القديمة في تلك المدينة استمرت تعمل دون انقطاع - بطريقة سرية طبعاً - وضمت إلى عضويتها عدداً ممن كانوا يرحبون بخلع عبد الحميد»

ثم يقول «ويؤكد لنا دارس آخر أنه في حوالي سنة ١٩٠٠ قرر «المشرق الأعظم» الفرنسي (أي المحفل الماسوني الفرنسي) إزاحة السلطان عبد الحميد وبدأ يجتذب لهذا الغرض حركة تركيا الفتاة منذ بداية تكوينها. ثم إن محللاً آخر يلاحظ: يمكن القول بكل تأكيد إن الثورة التركية (أي حركة جمعية الاتحاد والترقي) كلها تقريباً من عمل مؤامرة يهودية ماسونية».

ويقول «سيتون واطسون» في كتابه «نشأة القومية في بلاد البلقان»: «إن أعضاء تركيا الفتاة - الذين كان غرب أوروبا على اتصال دائم معهم - كانوا رجالاً منقطعين وبعيدين عن الحياة التركية وطراز تفكيرها لكونهم قضوا ردحاً طويلاً من الزمن في المنفى، وكانوا متأثرين وبشكل سطحي بالحضارة الغربية وبالنظريات غير المتوازنة للثورة الفرنسية. كان كثير منهم أشخاصاً مشبوهين، ولكنهم كانوا دون أي استثناء رجال مؤامرات لا رجال دولة، ومدفوعين بدافع الكراهية والحقد الشخصي لا بدافع الوطنية. والثورة التي أنجزوها كانت نتاج

عمل مدينة واحدة وهي مدينة سلانيك إذ نمت وترعرعت فيها وتحت حماية المحافل الماسونية «جمعية الاتحاد والترقي» وهي المنظمة السرية التي بدلت نظام حكم عبد الحميد.

وكما كان عهد الاتحاديين هو العهد الذهبي بالنسبة لليهود الراغبين في الهجرة إلى فلسطين كذلك كان العهد الذهبي في فتح المحافل الماسونية في طول البلاد وعرضها في الدولة العثمانية. يقول فخر البارودي في مذكراته واصفاً وضع دمشق بعد وصول الاتحاد والترقي إلى الحكم: «وقد ساعد الاتحاديين على نشر دعايتهم اللوج - أي المحفل - الماسوني الذي كان مغلقاً قبل الدستور» ثم يقول: «وبعد الانقلاب فتح المحفل أبوابه، وجمع الأعضاء شملهم وأسسوا محفلاً جديداً أسموه محفل «نور دمشق» وربطوه بالمحفل الإسكتلندي»

ولكي نعرف مكانة المحافل الماسونية لدى أعضاء جمعية الاتحاد والترقي نسوق هنا اعتراف أحد أعضائهم: «كان هناك نوعان من الأعضاء في الجمعية: أحدهما مرتبط بالمحفل الماسوني وهذا كنا نطلق عليه اسم الأخ من الأب والأم، وآخر غير مرتبط بالمحفل الماسوني، فكنا نطلق عليه اسم الأخ من الأب فقط». وفي كتاب نشره الماسونيون في تركيا تحت عنوان «الماسونية في تركيا وفي العالم» يتحدث عن دور المحافل الماسونية في إنجاح حركة الاتحاديين: «وقد انتشرت الماسونية بشكل خاص في سلانيك وحواليها. ومع أن عبد الحميد حاول أن يحد ويشل الحركة الماسونية هناك، إلا أنه لم يوفق في مسعاه»، «وقد قامت هذه

المحافل، لاسيما محفل «ريزورتا» ومحفل «فاريتاس» بدور كبير في تأسيس وتوسيع حركة جمعية الاتحاد والترقي، كما كان للماسونيين دورهم في «إعلان الحرية» سنة ١٩٠٨م [١].

موقف الإسلام من الماسونية:

إن الماسونية تعادي الأديان جميعاً، وتسعى لتفكيك الروابط الدينية، وهز أركان المجتمعات الإنسانية وتشجع على التفلت من كل الشرائع والنظم والقوانين.

وقد أوجدها حكماء صهيون لتحقيق أغراض التلمود وبروتوكولاتهم، وطابعها التلون والتخفي وراء الشعارات البراقة، ومن والاهم أو انتسب إليهم من المسلمين فهو ضال أو منحرف أو كافر، حسب درجة ركونه إليهم وقد أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر بياناً بشأن الماسونية والأندية التابعة لها مثل الليونز والروتاري جاء فيه:

«يحرم على المسلمين أن يتنسبوا لأندية هذا شأنها وواجب المسلم ألا يكون إمعة يسير وراء كل داع وناد بل واجبه أن يمتثل لأمر رسول

---

(١) انظر : الموسوعة الميسرة ج١ ص ٥١٣ وما بعدها ، والمذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص ٢٥ وما بعدها ،والعقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د / سعد الدين صالح ص ٢٣٥وما بعدها. وموقع أبو إسلام أحمد عبد الله. ومكايد يهودية عبر التاريخ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٢٢ ـ ٢٢٦ بتصرف وأيضا ما جاء في حلقة في قناة الجزيرة تحت عنوان سري للغاية تقديم يسري فودة بتاريخ ٢/ ٩/ ١٩٩٩م.

الله ﷺ حيث يقول: «لا يكن أحدكم إمعة يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءهم».

وواجب المسلم أن يكون يقظاً لا يغرر به، وأن يكون للمسلمين أنديتهم الخاصة بهم، ولها مقاصدها وغاياتها العلنية، فليس في الإسلام ما نخشاه ولا ما نخفيه والله أعلم)

رئيس الفتوى بالأزهر
عبد الله المنشد

كما أصدر المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي فتوى أخرى جاء فيها:

«وقد قام أعضاء المجمع بدراسة وافية عن هذه المنظمة الخطيرة، وطالع ما كتب عنها من قديم وجديد، وما نشر من وثقائها فيما كتبه ونشره أعضاؤها، وبعض أقطابها من مؤلفات، ومن مقالات في المجلات التي تنطق باسمها وقد تبين للمجمع بصورة لا تقبل الريب من مجموع ما اطلع عليه من كتابات ونصوص ما يلي:

١- أن الماسونية منظمة سرية تخفي تنظيمها تارة وتعلنه تارة، بحسب ظروف الزمان والمكان، ولكن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها هي سرية في جميع الأحوال محجوب علمها حتى على أعضائها إلا خواص الخواص الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها.

٢- أنها تبني صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهري للتمويه على المغفلين وهو الإخاء والإنساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب.

٣- أنها تجذب الأشخاص إليها ممن يهمها ضمهم إلى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية، على أساس أن كل أخ ماسوني مجند في عون كل أخ ماسوني آخر، في أي بقعة من بقاع الأرض، يعينه في حاجاته وأهدافه ومشكلاته، ويؤيده في الأهداف إذا كان من ذوي الطموح السياسي ويعينه إذ وقع في مأزق من المآزق أيا كان على أساس معاونته في الحق لا الباطل. وهذا أعظم إغراء تصطاد به الناس من مختلف المراكز الاجتماعية وتأخذ منهم اشتراكات مالية ذات بال.

٤- إن الدخول فيه يقوم على أساس احتفال بانتساب عضو جديد تحت مراسم وأشكال رمزية إرهابية لإرهاب العضو إذا خالف تعليماتها والأوامر التي تصدر إليه بطريق التسلسل فيالرتبة.

٥-- أن الأعضاء المغفلين يتركون أحراراً في ممارسة عباداتهم الدينية وتستفيد من توجيههم وتكليفهم في الحدود التي يصلحون لها ويبقون في مراتب دنيا، أما الملاحدة أو المستعدون للإلحاد فترتقي مراتبهم تدريجياً في ضوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتها ومبادئها الخطيرة.

٦- أنها ذات أهداف سياسية ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع وأصابع ظاهرة أو خفية.

٧- أنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور ويهودية الإدارة العليا والعالمية السرية وصهيونية النشاط.

٨ - أنها في أهدافها الحقيقة السرية ضد الأديان جميعها لتهديمها بصورة عامة وتهديم الإسلام بصفة خاصة.

٩- أنها تحرص على اختيار المتسببين إليها من ذوي المكانة المالية أو السياسية أو الاجتماعية أو العلمية أو أية مكانة يمكن أن تستغل نفوذاً لأصحابها في مجتمعاتهم، ولا يهمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها، ولذلك تحرص كل الحرص على ضم الملوك ولرؤساء وكبار موظفي الدولة ونحوهم.

١٠- أنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهاً وتحويلاً للأنظار لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت الأسماء إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما، وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الروتاري والليونز. إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التي تتنافى كلياً مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية.

وقد تبين للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية، وبذلك استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثيرة من المسئولين في البلاد العربية وغيرها، في موضوع قضية فلسطين،

وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضية المصيرية العظمى، لمصلحة اليهود والصهيونية العالمية.

لذلك ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبيساتها الخبيثة وأهدافها الماكرة يقرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب أهله[1].



[1] انظر : الموسوعة الميسرة ج١ ص٥١٧ـ ٥١٩. مرجع سابق.



وبعد:

فهذه بعض صفحات حول الغزو الفكري وأهدافه وطرقه، تبين من خلالها أهداف وأساليب أعداء الأمة في مواجهة الإسلام وأهله، ونحن لا نلومهم عليها، وإنما نتوقع منهم الكثير والكثير، إنما اللوم كل اللوم على بعض أبناء الأمة الذين ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا أداة في أيد هؤلاء الأعداء، وعونا لهم على تنفيذ خططهم، واللوم كل اللوم على البعض الأخر الذين ساعدوا أعداء الأمة بتقصيرهم في حق دينهم حتى غدوا صيدا سهلا لهؤلاء الأعداء المتربصين بهم.

ومن ثم فلم يكن استضعاف الأمة بسبب هذه الهجمة الشرسة من أعدائه وحدها، بل هناك أسباب أخرى نبعت من المسلمين أنفسهم، وقد استمد الأعداء قوتهم من خوار الأمة وضعفها، وعندما تنهض أمتنا وتتمسك بعقيدتها وشريعتها المنزلة من عند الله تعالى سوف تذهب كل أساليب أعدائهم أدراج الرياح.

إن هذه الهجمة الشرسة تحتاج إلى مواجهة صحيحة، تنبني على عمل يعمل، لا كلام يقال، إن العلمانيين والمنصريين والقوميين والمستشرقين والصهاينة ليعملون ونحن لا نعمل. وإذا رغبنا في مواجهتهم لإنفاذ الأمة من خطرهم، فلابد أن يكون عملنا أكثر من

عملهم، وجهدنا أضعاف جهدهم، وحركتنا أسرع من تحركهم.

إن مواجهة هؤلاء تحتاج إلى تخطيط، وتنظيم، وتكاتف جهود، واتساع مواقع، وتعرف دقيق على خطط أعداء الأمة، فإذا ما قام أبناء الأمة المخلصون بواجبهم، كان ذلك بداية في طريق طويل.

أما أن يترك بعض ضعفاء الأمة، وبعض شباب الأمة، ونساء الأمة وغيرهم، يفترسهم الأعداء من كل جانب، فإن ذلك أمر بالغ الخطورة.

وإذا كان أعداء الأمة يبتكرون مؤتمرات محلية ودولية، ويشرفون على معاهد علمية، وجمعيات بمسميات متباينة، فلماذا لا يكون للمخلصين من أبناء الأمة دور في إيجاد مؤتمرات دعوية إسلامية، ومؤتمرات مواجهة للرد والتفنيد والمواجهة، ولا يقتصر الدور فيما لهم من المؤتمرات على الاجتماع، ثم الانفضاض دون أي تأثير، فمثل هذه المؤتمرات كالمظاهرات في الشارع، تحتوي على تصفيق وكلام، ثم ينفض الجمع ويدخل كل إلى بيته.

إن الأمة في حاجة إلى مؤتمرات لا تكون توصياتها وقراراتها حبرا على ورق، وإنما أعمال تعمل في دقة وتخطيط.

فالأمة تعاني من تسلط الغزو الفكري في سائر وسائل الإعلام المقرؤة والمسموعة والمرئية، التي غزت الشوارع والبيوت، حتى مسخت بعض عقول أبناء الأمة، فتراهم يعيشون بيننا، ويتحدثون بلغتنا، لكنهم في أفكارهم وأعمالهم ومظاهرهم صورة ممسوخة بتأثير هذا الغزو الفكري.

وليس من المبالغة القول بأن أعداء الإسلام قد نجحوا في السيطرة على الأجهزة الإعلامية في بعض الدول الإسلامية، سواء أكانوا من العلمانيين، أم القوميين، أم المحتلين، أم الصهاينة، أم المستشرقن المنصرين. وذلك عن طريق عملائهم الذين يديرون هذه المؤسسات، ولذا كان لابد من تطهير المؤسسات الإعلامية من هؤلاء العملاء المخدوعين الذين تربوا في مداس الغرب ومعاهده.

ولابد أن يتوجه النقد إلى أي أثر من آثار الغزو الفكري دون مجاملة أو مداهنة فالأمر جد خطير.

يجب أن نضع في اعتبارنا أن أي مجتمع إسلامي هو مجتمعنا دون إقليمية أو عنصرية أو حزبية أو قومية، وبهذا تتكاتف الجهود ونستطيع مواجهة هذه الهجمة الشرسة على أمتنا وثوابتها. فهل نتدارك هذه المواقف العدائية، ونتخطاها إلى مواقف المواجهة؟ يجدر بالأمة أن تتعرف على ما يأتي:

أولا: على الأمة أن تدرك تمام الإدراك أن أخطر ما استهدفه الغزو الفكري في برامجه التخريبية، هو هدم الشخصية الإسلامية: عقائديا، وثقافيا، وسلوكيا، وعاطفيا.

ولعل معاول الغزو الفكري التي أصابت كثيرا من أبناء الأمة، لم تؤثر إلا من جراء انهزام الشخصية المسلمة.

ولهذا كان لابد أن تتجه جهود الأمة إلى التربية، لأن المبادئ

الإسلامية بمفاهيمها الأساسية، ومناهجها التربوية، تصنع شخصية متميزة لها سماتها وغاياتها الخاصة. لابد من اتجاه فريق من الدعاة والعلماء العاملين إلى تربية الأجيال، تربية إسلامية، تتولى المسؤولية والإدارة.

ثانيا: إن ما يقوم به أعداء الأمة في المجتمعات المسلمة المختلفة من أعمال يظن المخدوعون أنها خدمات جليلة، إنما هي خدمات استغلالية، يرجون من ورائها منفعة دنيوية تعود عليهم، فعلينا سد هذه الثغرات التي يأتون منها، كخدمة بناء المدارس في المجتمعات الفقيرة، أو المستشفيات، أو غيرها في الأماكن التي يكون الإنسان في أمس الحاجة إلى من يقدم له يد العون أو المساعدة بالعلم، والخبز، والعلاج، فإذا أراد المسلمون المواجهة العملية لهؤلاء المنصرين ومن على شاكلتهم فعليهم أن يقوموا بهذه الخدمات ليسدوا على الطامعين مرغبهم من وراء ذلك.

ثالثا: يجب أن تدرك الأمة أن هؤلاء الأعداء يملكون إمكانيات هائلة: مادية وبشرية، فمواجهتها لهذا الغزو وطرقه، يجب أن تتوفر لها مثل هذه الإمكانيات المادية والطاقة البشرية.

رابعا: لابد من مواجهة الغزو الفكري بالتخطيط الدقيق، المنفذ بحكمة وبصيرة، الموزع الأدوار، ليكون هناك التكامل الواعي.

خامسا: يجب على وسائل الإعلام المقروؤة والمسموعة والمرئية أن تقوم بأمرين:

١- التوقف عن بث ما يسيء للإسلام، أو يتنافى مع مبادئه، لأنه لا فائدة من مواجهة الغزو الفكري في الوقت الذي نجد فيه أجهزة الإعلام، تمور بما هو مخالف لآداب الإسلام وأخلاقه، من تقاليد غربية، وخلاعة بذيئة، وعري فاضح.

٢- أن تواكب مؤسساتنا الإعلامية هذه الموجة الفكرية، فتتناولها، وتقف من ورائها، وتعمل على مساعدتها بالتوجيه.

سادسا: العمل على إيجاد قنوات فضائية بمنهج إسلامي شامل، واستغلال الشبكة العنكبوتية (الانترنت) لأن أعداء الأمة يبثون عليها سمومهم، فيجب على العلماء استغلال مثل هذه الوسيلة الإعلامية، لتفنيد الشبه، وتوضيح صورة الإسلام للعالم الغربي.

سابعا: على أن يصاحب كل ما مضى هجوم، ونقد للأفكار الغربية التي يبثها أعداء الأمة عن طريق الوسائل الإعلامية المتباينة، لتنتقل الأمة من مرحلة المواجهة - الدفاع - إلى مرحلة النقد والهجوم..

نسأل الله أن يصلح قلوبنا، وأن يعرِّفنا ذنوبنا، ويمنّ علينا بالتوبة منها، وأن يهدينا وسائر إخواننا سواء السبيل....إنه على كل شيء قدير..

المؤلف

مجدي عبد الغفار حبيب

أهم المراجع

القرآن الكريم:

١ - الاتجاهات الفكرية المعاصرة د / علي جريشة ط دار الوفاء للطباعة المنصورة ط / أولي س ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م

٢ - الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها د/ جمعة الخولي ص ٩٢ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ مطابع الجامعة الإسلامية المدينة المنورة.

٣ - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د/ محمد حسين ط/ دار الرسالة مكة المكرمة الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٤ - أجنحة المكر الثلاثة د / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ط / بيروت دار القلم س ١٩٧٧ م

٥ - احذروا الأساليب الحديثة في مواجه الإسلام د / سعد الدين صالح / دار الأرقم

٦ - احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام د- سعد الدين صالح ط دار الأرقم الزقازيق. س ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م

٧ - أخطار الغزو الفكري علي العالم الإسلامي بحوث حول العقائد الوافدة د / صابر طعيمة ط / عالم الكتب

٨ - أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي د / علي جريشة ومحمد شريف الزيبق ط / دار الاعتصام س ١٩٧٩ م

٩ - الاستشراق وجه للاستعمار الفكري الشيخ عبد المتعال الجبري ط / مكتبة وهبة.

١٠ - الإسلام قوة الغد العالمية. باول شمتز ترجمة د/ محمد شامة القاهرة ١٣٩٤هـ

١١ - الإسلام والتيارات المعاصرة د/ عبد المعطي بيومي، د/ محمد الشاعر

١٢ - الإسلام والحضارة العربية حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة د / جميل عبده محمد المصري مكتبة العبيكان

١٣ - الإسلام والعلمانية وجها لوجه د / يوسف القرضاوي ط / مكتبة وهبة

١٤ - الإسلام وخرافة السيف د / عبد الودود شلبي.

١٥ - الإسلام ومستقبل البشرية د/ عبد الله عزام

١٦ - الأصول الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والمواقف الأمريكية / محمد السماك ط/ مركزات العالم الإسلامي، مالطة ١٩٩١م.

١٧ - أضواء علي الثقافة الإسلامية د/ نادية شريف العمري مؤسسة الرسالة الطبعة التاسعة س ١٤١٩ ه / ١٩٩٨ م.

١٨ - أضواء علي الحضارة الإسلامية د/ أحمد السايح ص ٧٨ ط دار اللواء بالرياض س ١٤٠١ ه س ١٩٨١ م.

١٩ - إنتاج المثقفين وأثره في الفكر الإسلامي للأستاذ / مالك بن نبي

ط دار الإرشاد بيروت س ١٩٦٩ م

٢٠ – الإيمان لابن تيمية ط/ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

٢١ – الإيمان والحياة د / يوسف القرضاوي ط/ مؤسسة الرسالة الطبعة التاسعة عشر ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٢٢ – التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية د/ أحمد شلبي ط/ مكتبة النهضة المصرية ط١ / ١٩٧٢م.

٢٣ – التبشير والاستعمار لعمر فروخ والخالدي ط المكتبة العصرية.

٢٤ – تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل فضيلة الشيخ محمد الغزالي ط دار الشروق بيروت

٢٥ – تهافت العلمانية د/ عماد الدين خليل ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

٢٦ – الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة د يوسف القرضاوي ط مكتبة وهبة ط أولي س ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م

٢٧ – جذور العلمانية د/ السيد أحمد فرج. طبعة دار الوفاء المنصورة الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٢٨ – جهاد المسلمين في الحروب الصليبية د / فايد عاشور مؤسسة الرسالة ط١ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٢٩ – الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية د توفيق الواعي ط دار الوفاء. المنصورة س ١٤٠٨ هـ. القاهرة.

٣٠ – الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية د / توفيق الطويل ط مكتبة التراث الإسلامي مصر س ١٩٩٠ م

٣١ – حضارة العرب د / غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر ط / ثانية س ١٩٤٧ م

٣٢ – الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا د/ يوسف القرضاوي ط/ مكتبة وهبة.

٣٣ – خصائص التصور الإسلامي الأستاذ سيد قطب ط/ دار الشروق

٣٤ – الخطر اليهودي برتوكولات حكماء صهيون / محمد خليفة التونسي ط / بيروت الطبعة الرابعة..دار الوطن للنشر السعودية.

٣٥ – رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر الأستاذ محمد قطب

٣٦ – السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي د / مصطفي السباعي ١٨٨ ط / دار المكتب الإسلامي بيروت ودمشق س ١٣٩٨ ه ١٩٧٨ م.

٣٧ – سنن أبي داود ط/ دار الفكر تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

٣٨ – سنن الترمذي ط / دار إحياء التراث العربي بيروت تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون.

٣٩ – سيرة ابن هشام ط/ دار الكتب العلمية بيروت،

٤٠ – السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة / صالح أحمد الشامي ص

١٥٥ ط/ المكتب الإسلامي

٤١ - السيرة النبوية دروس وعبر د/ مصطفى السباعي ط/ المكتب الإسلامي س١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٤٢ - شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي / أ. أنور الجندي

٤٣ - شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الدمشقي تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط ط/ مؤسسة الرسالة.

٤٤ - صحيح البخاري (محمد بن إسماعيل). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي / محب الدين الخطيب ط/ دار المعرفة بيروت ١٣٨٩.

٤٥ - صحيح مسلم بشرح النووي (محي الدين يحي النووي) ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٤٦ - الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز. ط/ عالم المعرفة العدد ٩٦ الكويت.

٤٧ - العرب والإسلام الأستاذ / أبو الحسن الندوي ط المكتب الإسلامي بيروت ط ٣ س ١٤٠١ هـ.

٤٨ - العصرانية في حياتنا الاجتماعية د/ عبد الرحمن الزنيدي، دار المسلم الرياض ط/ ١، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م.

٤٩ - العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د / سعد الدين صالح ط/ دار الصفا القاهرة الطبعة الثانية ١٩٩٠م.

٥٠ - العلمانية المنشأ والأثر في الشرق والغرب / زكريا فايد ط/ ١،

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م ط/ الزهراء للأعلام العربي.

٥١ - العلمانية لسفر عبد الرحمن الحوالي جامعة أم القرى - الكتاب ٢٥ - دار مكة - مكة ط١ / ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٥٢ - الغزو الثقافي للأمة الإسلامي ماضيه وحاضره / منصور بن عبد العزيز الخريجي ط دار الصميعي للنشر والتوزيع.

٥٣ - الغزو الفكري أهدافه ووسائله د/ عبد الصبور مرزوق. الطبعة الثالثة ط/ رابطة العالم الإسلامي. إدارة الصحافة والنشر.

٥٤ - الغزو الفكري د/ مجدي الصافوري بحث مستل من حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا العدد الحادي عشر س ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م. (٤٩)

٥٥ - الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام د/ علي عبد الحليم محمود بتصرف ط- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية س ١٤٠٤ هـ - س ١٩٨٤ م

٥٦ - الغزو الفكري وهم أم حقيقة مجمد عمارة ط- الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف. ١٩٨٨م

٥٧ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ط/ دار المعرفة بيروت.

٥٨ - فقه السيرة النبوية / منير محمد الغضبان ط/ مركز بحوث الدراسات الإسلامية مكة المكرمة.

٥٩ - الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر د / محمد البهي

٦٠ - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار د / محمد البهي
٦١ - في الغزو الفكري د/ أحمد السايح كتاب الأمة العدد ٣٨ شعبان ١٤١٤هـ
٦٢ - قاموس المصطلحات الصهيونية الهيئة العامة للاستعلامات مركز المعلومات الوطني الفلسطيني / موقع على الانترنت.
٦٣ - القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم موريس بوكاي دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ط / دار المعارف س ١٩٧٩ م
٦٤ - قصة الحضارة / ديورانت ج١٤. ترجمة محمد بدران. نشر الإدارة العربية في جامعة الدول العربية، مطابع الدجوي القاهرة.
٦٥ - القوى الخفية في السياسة العالمية / ل. فراي -- ترجمة محمد كمال ثابت ط/ دار الكتاب العربي بيروت.
٦٦ - الكتاب المقدس. دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
٦٧ - الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد خالد محمد علي الحاج. دولة قطر ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٦٨ - كواشف زيوف لعبد الرحمن الميداني ط / دار القلم طبعة أولى ١٤١٢هـ ١٩٨٥م
٦٩ - لسان العرب لابن منظور ط/ دار المعارف.
٧٠ - لمحات في الثقافة الإسلامية / عمر عودة الخطيب ط مؤ

٧١ - المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - مطبعة مصر.

٧٢ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ الأستاذ / أبو الحسن الندوي ط مكتبة السنة س ١٩٩٠م / ١٤١٠ هـ.

٧٣ - الماسونية العالمية وموقفها من الإنسان والأديان د / عابد منصور مطبعة الأمانة ط / ١٩٨٨م

٧٤ - مجموع فتاوى ومقالات متنوعة جمع وترتيب وإشراف د/ محمد بن سعد الشويعر الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ ط/ رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

٧٥ - مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب. الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م. م

٧٦ - محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ط / دار الفكر العربي ط/ ٣ ١٣٨١ هـ.

٧٧ - مختار الصحاح للرازي ط بيروت مكتبة الهلال

٧٨ - المد الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجري. الأستاذ / أنور الجندي ص ٢٦ ط / دار الاعتصام بالقاهرة س ١٩٨٢ م.

٧٩ - مدارج السالكين ط/ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م م

٨٠ - المدخل إلي الثقافة الإسلامية د / محمد رشاد سالم ط/ دار القلم س ١٤٠٧ ه / ١٩٨٧ م

٨١ - المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها د / عبد الرحمن عميرة ط / دار اللواء السعودية

٨٢ - مذاهب فكرية معاصرة الأستاذ محمد قطب طبعة دار الشروق الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٨٣ - المستدرك علي الصحيحين للنيسابوري تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٨٤ - المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري: إبراهيم نعمة ط شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة العراق س ١٩٨٦ م

٨٥ - المسند المستخرج علي صحيح الإمام مسلم لأبي نعيم الأصفهاني ط/ أولى. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٦م تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي .

٨٦ - مسند الإمام أحمد ط / مؤسسة قرطبة مصر صحيح البخاري المسيحية د/ أحمد شلبي ط/ مكتبة النهضة المصرية القاهرة.

٨٧ - مع الله دراسات في الدعوة والدعاة الشيخ محمد الغزالي ط/ دار الكتب الإسلامية الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٨٨ - معارك حاسمة في حياة المسلمين د / أحمد عبد الرحيم السايح ط دار اللواء بالسعودية س ١٤٠٩ ه.

٨٩ - معالم تاريخ الإنسانية. هـ. ج. ولز. ت: عبد العزيز جاويد، القاهرة ط/ أولى ١٩٥٠م.

٩٠ - معجم العلوم الاجتماعية – نخبة من العلماء المصرين والعرب ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب س ١٩٥٧ م

٩١ - معجم المعلم بطرس البستاني

٩٢ - معجم لغة الفقهاء.

٩٣ - معركة الوجود بين القرآن والتلمود د/ عبد الستار فتح الله سعيد الطبعة الثالثة دار الطباعة والنشر الإسلامية.

٩٤ - مقارنـة الأديـان د/ عـوض الله حجـازي ط/ ٣، دار الطباعـة المحمدية ١٩٨٦م. سسة الرسالة الطبعة الحادية عشر س ١٤١٢ ه / ١١٩٩ م

٩٥ - مكايد يهودية عبر التـاريخ عبـد الـرحمن حسـن حبنكـة الميـداني الطبعة الثالثة ط/ دار القلم دمشق بيروت

٩٦ - الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة / ناصـر القفـاري وزميلـه ط/ ١ س ١٤١٣هـ ١٩٩٢م دار الصميعي للنشر بالرياض

٩٧ - موسـوعة المفـاهيم والمصـطلحات الصـهيونية د/ عبـد الوهـاب المسيري. م مختار الصحاح للرازي ط/ ١٣٩٦هـ ١٩٥٠ م.

٩٨ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ. إشراف وتخطيط ومراجعـة د / مـانع بـن حمـاد الجهني الطبعة الثالثة ط- دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي

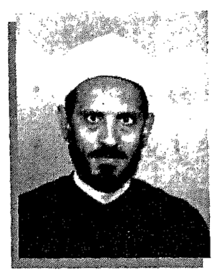
٩٩ - موقـع أبـو إسـلام أحمـد عبـد الله علـى الانترنـت http. www.webadh.com

١٠٠ - موقف المذاهب المسيحية من الصهيونية د/ محمد خليفة حسن إصدار مركز زايد للتنسيق والمتابعة أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة سنة ٢٠٠٢م م منجد الطلاب للبستاني ط بيروت دار المشرق

١٠١ - نظرات في الثقافة الإسلامية / عز الدين الخطيب وآخرين بتصرف. ط دار الفرقان عمان س ١٤٠٤ ه س ١٩٨٤ م الأردن.

١٠٢ - هذا الدين الأستاذ سيد قطب ص٨٣ ط/ دار الشروق.

١٠٣ - واقعنا المعاصر الأستاذ محمد قطب ط مؤسسة المدينة جدة س ١٤٠٧هـ.



الكاتب في سطور

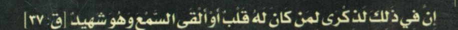
- الدكتور مجدي عبد الغفار حبيب
- حاصل على ليسانس أصول الدين قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
- حاصل على الماجستير من كلية أصول الدين قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بالقاهرة.
- وكان موضوعها (الدعوة الإسلامية خلال النصف الثاني من القرن
- التاسع الهجري).
- حاصل على الدكتوراه من كلية أصول الدين قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بالقاهرة
- وكان موضوعها (منهج الإسلام في إصلاح الفرد والمجتمع من خلال سورة الإسراء).
- يعمل أستاذا مساعدا بكلية أصول الدين جامعة الأزهر وكلية الشريعة جامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية.

من مؤلفاته

- الخطاب الدعوي بين سماته الأصلية وأزمته العصرية.
- هدي النيرين في دعوة سيد الثقلين صلى الله عليه وسلم.
- سُلّم الطالبين لنظم المسلمين.
- أضواء على الثقافة الإسلامية.
- الشورى وبناء الأمة.
- أضواء على النظام السياسي في الإسلام.
- من فقه الوسائل الدعوية.
- الخلاف بين الدعاة مظاهره وأسبابه وعلاجه.
- الغلو في الدين أو التطرف في ميزان الدعوة الإسلامية.
- ركائز صهيونية في مناهج التعليم اليهودية.

كتب تحت الطبع

- إلتنصير أهدافه ووسائله بين القديم والجديد.
- مباحث في الاستشراق.



إن التيارات الفكرية، والحركات والدعوات المعاصرة، تشكل غزوا فكريا، وتيارا جارفا يزحف علي المجتمعات الإنسانية في مكر وخبث ودهاء ليشغل الإنسانية عن عجلة الحياة. وجدير بالذكر أن هذا الغزو الفكري يعمل بكل ما يملك من إمكانات مادية ومعنوية علي غزو الأمة الإسلامية، غزوا يفتتها، ويضعف من تقدمها، ويقيد حركتها، ويصرفها عن الواقع المحيط بها. إن الأمة الإسلامية كانت ومازالت هدفا ثمينا لهذا الغزو الفكري، الذي يعمل علي إذابة المجتمعات، وانسلاخها عن عقائدها، وتراثها، وحضارتها، حتى تصبح مسخا شائها تابعا لغيره، مقلدا له تقليدا أعمى، يؤمر فيطيع.. ولهذا جاء هذا الجهد المتواضع ليضيف مع ما سبقه من أبحاث وكتب إطلالة جديدة علي أسباب الغزو الفكري وأهدافه وطرقه. عسى أن تتنبه الأمة الإسلامية للأخطار الفكرية، والتيارات الهدامة التي تحدق بها، وأن تتبصر المواقع، وتتعرف علي طريق الصواب. وأسال الله تعالى أن يبصرنا بعيوبنا وينصرنا على أعدائنا إنه سميع قريب آمين.

The intellectual Invasion

تطوير
للنشر والتوزيع

٠١٠٢٧٧٦٧٧٥